الشرق الأدنى

قبل عصوره التاريخية



دكتور محمد أبو المحاسن عصفور



الشرق الأدنى

قبل عصوره التاريخية



دكتور محمد أبو المحاسن عصفور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قمت بتدريس « العصور قبل التاريخية » ـ سواء فيما يتعلق بمصر أو غيرها ـ منذ سنة ١٩٤٨ ، ولم أتوقف عن ذلك إلا فترة تقل عن خمسه أعوام ، وقد لمست ما يعانيه الطلاب من صعوبة فى تفهم كل ما يمت إلى هذه العصور بصلة ، ورأيت أن من واجبى أن أحاول تبسيط دراستها فى اقليم الشرق الأدنى التى نتناولها بصفة عامة فى هذا الكتاب ولذا تجاوزت عن كثير من التفاصيل المعقدة التى لا يستسيغها الطالب فى بدء حياته الجامعية .

ودراسة هذه العصور وإن كانت قد رسخت فى أوروبا إلا أنها ما زالت فى حاجة إلى الكثير من الجهود فى إقليم الشرق الادنى بصفة عامة وفى بعض أقطاره بصفة خاصة ولا نكاد نجد فى المكتبة العربية كتابا واحدا يقتصر على دراستها فى إقليم الشرق الأدنى بأكمله وقد أشفقت ـ رغم شدة حاجة الطالب والمكتبة العربية إلى مثل هذا العمل ـ من أن أكون البادىء فى سد هذا الفراغ ولكن ماوجدته من شدة الحاجة إليه شجعتنى على القيام بهذا العمل ، وخاصة لما تلقاه دراسة هذه العصور من عناية واهتمام فى كافة أرجاء العالم إذ لا تكاد تخلو دراسة جامعية منها على

الاطلاق ، لأن من المسلم به أن لكل شيء بداية وأن الخطوات الأولى التي خطاها الأنسان نحو الحضارة والأسس التي بنيت عليها كل مظاهر الحضارة الأنسانية إنما بدأت في تلك العصور .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أذكر بالشكر والتقدير كل من عاونني على إخراجه ، وأذكر بصفة خاصة السيد / كاظم الجنابي من العراق الشقيق ـ لما قدمه إلي من معونة في مراجعة الجزء المتعلق بالعراق وتحقيق أسمائه على حسب نطقها المحلي .

ولا أستطيع أن أدعي بأن هذا الجهد المتواضع الذي أقدمه الآن هو كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع بل ولا أعتبره أساسا كافيا لدراسته وإنما هو مجرد بداية تهدف إلى تحقيق غرض دراسي بحت يستطيع الطالب والقارىء العادي أن يفيد منها ولا يغنيه ذلك عن الدراسات التفصيلية لمن شاء التعمق في بحث بعض جوانب هذا الموضوع ـ وأرجو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه .

وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى الخير والسداد .

دكتور محمد أبو المحاسن عصفور

ديسمبر ١٩٦٢

الإهداء

الى ذكرى من علمانى اول دروس الحياة ،

الى والدىّ، اهـدى هـذا الجهـد المتواضع

قائمـة الأشكال

الخرط

محتوى الكتاب

تمهيد

يقدر عمر الأرض – منذ أن أصبحت كوكبا منفصلا يسير حول الشمس – بنحو ألفى مليون سنة ، وقد أصطلح الجيولوجيون على تقسيمه إلى أربعة دهور طويلة قسموها بدورها إلى عصور ثانوية – ولم تبدأ الحياة على سطح الأرض منذ لحظة نشأتها بل كان ظهور أول الكائنات فيها منذ نحو ١٦٠٠ مليون سنة ، وكانت هذه الكائنات بدائية بسيطة التكوين ثم أخذت تتطور ويتعقد تكوينها إلى أن نشأت الثدييات فى زمن يرجع إلى مابين ٤٠ مليون سنة و ٨٠ مليون سنة .

ومع أن القشرة الأرضية أخذت تتجه فى مناخها نحو البرودة التدريجية بوجه عام إلا أنها تعرضت لذبذبات طويلة الأجل تناوبت فيها فترات اشتدت برودتها حتى تقدم غطاء الجليد نحو العروض المعتدلة الحالية وفترات مال المناخ فيها إلى الدفء نسبيا فتراجع الجليد نحو العروض الباردة [1] – وقد ظهرت الكائنات البشرية القريبة الشبه

(١) عرفت آخر أدوار تقدم الجليد التى حدثت فى الدهر الجيولوجى الرابع باسم العصور الجليدية وقد أطلق على كل منها اسم أحد وديان جبال الألب حيث وجدت آثار الركامات الجليدية الممثلة لهذه العصور فى تلك الوديان وهذه العصور هى على التوالى : —

جنتز Guntz ، مندل Mindel ، رس Riss ، فرم Würm .

بالقردة العليا [١] فى إحدى هـذه الفترات الدفيئة التى تخللت أدوار تقدم الجليد . ولـكن العلمـاء اختلفوا فى تحديد تلك الفترة لأن آثار هذه الـكائنات وبقايا هيا كلها وجماجها التى وجـدت فى بقـاع مختلفة من العالم عثر عليها فى طبقـات يتراوح عمرهـا مابين ٥٠ ألف عام و ٦٠ ألف عام — أما اسلاف الانسان الحديث [٢] فقد بدأ ظهورهم منذ زمن يرجـــع إلى مابين ٣٠ ألف سنة و ٥٠ ألف سنة ، وقد انقرضت كل تلك الأجناس قبل ظهور الانسان الحديث ولا يوجـد مايؤكد صلتها به بصفة قاطعة .

ولا شك فى أن تاريخ البشر يبـــدأ منذ اللحظة التى بدأ فيهـا ظهورهم على سطح الأرض ، ومن البديهى أن الانسان لم يتدرج نحو الرقى بسرعة واحـدة فى مختلف أنحاء العـالم بل ولم يمر — فى بعـض المناطق — بكل المراحل الحضارية المختلفـــة أى أنه كان لاينتقل فى

---

(١) من أهم هذه السلالات :—

أولا :— أقدم السلالات التى عثر على بقايا عظمية لها وهى بعيدة الشبه عن الانسان الحديث :—

ا — انسان جاوة Pithecanthropus erectus

ب — انسان بكين Sınanthropus Pekinensis

حـ — انسان بلتدون Piltdown Man وقد أصبح مشكوكا فى هـــذا الجنس

ثانيا :— سلالات أقرب شبها بالانسان الحديث من المجموعة السابقة ولـكنها أيضا منحرفة عنه

ا — انسان نياندرتال Nesnderlhal

ب — انسان هـــدلبرج Heıdellerg

جـ — انســان روديسيــا Rhodesia

(٢) وجدت بقايا عظمية فى أماكن عدة وقد استدل منها على أن الانســان العاقل —

جهة ما من مرحلة حضارية إلى المرحلة التالية لها بنفس الترتيب الذى اتبعه فى الجهات الأخرى ، كذلك لم تكن الفترة التى قضاها فى إحدى المراحـــل الحضارية مساوية فى الزمن للفترة التى قضاها فى نفس المرحلة من جهة أخرى .

ومع أن تاريخ الإنسان يبدأ بظهوره إلى الوجود فان معظم الباحثين درجوا على تسمية الزمن الذى سبق انتظامه فى وحـــدات سياسية أو توصل فيه إلى الكتابة باسم « ما قبل التاريخ » أما الزمن الذى تلى معرفته للكتابة فهو عصره التاريخى . ومن الواضح أن هذا التقسيم يتنافى مع الواقع والأفضل ـ إذا ما أردنا أن نعتبر معرفـــة الكتابة حدثا خطيرا ومرحلة حاسمة فى حياة الإنسان ـ أن نطلق على العصر الأول اسم « العصر السابق لمعرفة الكتابة » ونطلق على الثانى اسم « عصر الوثائق المكتوبة أو عصر التدوين » ومع هذا فان التعبيرين « ما قبل التاريخ » و « العصر التاريخى » أصبحا من الشهرة والأهمية بحيث لا يمكن إهمالها أو الاستغناء عن استعمالها كلية .

ومن الطبيعى ـ وقد مر الإنسان بمراحل حضارية مختلفة ـ أن يقسم تاريخه على أساس أهم العوامل التى بنى بها حضارته وأثرت فيها أوعلى أساس اختلاف المظاهر العامة لتلك الحضارات ولذا اتجه فريق

= « أوالحديث » أخذ فى الظهور وقد عرفت السلالات الممثلة لها باسماء الاماكن التى وجدت فيها هذه العظام ومنها : ـــ جالى هل Galley Hill فى انجلترا، شتاينهايم Steinheim فى ألمانيا وجبل الكرمل فى فلسطين وكرومانيون Cro-Magnon فى فرنسا وكومب كابل Combe-Capelle وبرن Brunn وجريمالدى فى ايطاليا .

من العلماء إلى تقسيم تاريخ العـــالم على حسب المادة التى صنع منها الانسان أدواته إلى مرحلتين أطلق على الأولى اسم « عصر استعمال الحجر » وعلى الثانية اسم « عصر استعمال المعادن » ومازلنا نعيش فى هذه المرحلة الأخيرة إلى اليوم ، ومن العلماء من حاول تقسيم تاريخ البشر على أساس اقتصادى إلى « مرحلة جمع القوت » و « مرحلة انتاج الطعام » ومنهم من حاول إيجـــاد أسس أخرى للتقسيم لاداعى لأن نتعرض لها بالتفصيل ، وكل مايهمنا هو أن كل تلك المحاولات إنما تهدف إلى تيسير دراسة تاريخ الإنسان والأدوار الحضارية التى مر بها وينبغى أن لايغيب عن الذهن أنه لا توجـد حدود زمنية فاصلة بين الأقسام المختلفة التى فى تقسيمات الباحثين كما أن هذه التقسيمات جميعها لا تخلو من نقـائص ولكنها على أى حال تتيح لنا تتبع المراحـل التى مر بها الإنسان فى تاريخه الطويل ، ومهما اختلفت الأسس التى بنيت عليها تلك التقسيمات فان من الممكن التوفيق بينها فمثلا يمكن مطابقة « مرحلة جمع الطعـام » للقسم الأول من عصر استعمال الحجر أى « العصر الحجرى القديم » و « مرحلة انتاج الطعام » تتفق وكل من القسم الأخـــير من عصر استعمال الحجر وعصر « استعمال المعادن أى أنها تبدأ بأوائل « العصر الحجرى الحديث » وتستمر حتى وقتنا الحالى ، وإذا كان فى مقـدورنا الآن أن نورخ الأحـــداث حسب وقت حدوثها بالنسبة لنقطة ثابتة اصطلح العـــالم على جعلهـا أساسا للتقويم ـ كميلاد المسيح أو هجرة الرسول عليه السلام ـ فان الأمر لم يكن كذلك دائما فقد اتخذ السومريون مثـــلا من ظاهرة الطوفان

بداية عهـــدهم التاريخى أما المصريون القدماء فقد جعلوا من حكم كل ملك تقويما قائما بذاته ، ومعظم أهل الحضارات القديمة توصلوا إلى التوقيت وتقسيم الزمن بصورة أو بأخرى فقد عرف أهـــل العراق الشهور القمرية وكانوا يضبطون تقويمهم بإضافة بضعة أشهر كل عدة سنوات أما المصريون فقد عرفوا السنة على أساس ٣٦٥ يوما أى بفارق ¼ يوم فى السنة عن توقيتنا الحالى ـ وعلى هـــذا لاتكاد تعترض المؤرخ صعوبة فى تأريخ الأحداث التى أشارت إليها الوثائق والنصوص القديمة إذا ما أمكن ربطه بعهد ملك معين حيث أصبح فى الإمكان تأريخ حـــكم معظم الملوك القدامى من تتبع قوائم الملوك واحتساب مدة بقاء كل منهم على عرش بلاده ، أما إذا كانت هناك حلقات مفقودة فى قوائم الملوك ومدة حكمهم أو وجدت آثار لا تعززها مستندات أو وثائق مكتوبة مثل تلك التى خلفتها الحضارات السابقة لكتابته ، فان الباحث يستطيع الاستعانة بالوسائل المختلفة التالية :

اولا : فى عصور الكتابة يتبع :

١ ـ طريقة التقويم الفلكى : وهى تعتمد على ما يذكره أحـــد النصوص عن حدوث ظاهرة فلكية معينة حيث يمكن للمؤرخ أن يستعين بالفلك فى تحديد تاريخ حدوثها وبالتالى يمكن تأريخ الأحداث والآثار التى ترتبط بها فمثلا تشير نصوص الملك « حورابى » (أحد ملوك دولة بابل الأولى) إلى معاصرته للملك الأشورى « شمسى ـ

أدد ، وبما أن النصوص الأشورية تشير إلى حدوث كسوف للشمس في عهد الملك الأشورى « أشوردان الثالث » ـ وهذه الظاهرة الفلكية أمكن إرجاعها إلى سنة ٧٦٣ ق. م ـ فقد أمكن جعلها نقطة يقاس تبعا لها تسلسل تاريخ ملوك الأشوريين ومن معاصرة حورابى للملك « شمسى ـ أدد » أمكن كذلك ضبط التقويم البابلى وتحديد عهد حورابى فى بابل بحوالى ١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق. م

ثانيا : فى حالة العصور السابقة للكتابة ـ حيث لاتوجد إلا آثار ومخلفات الحضارات التى سادت فى تلك العصور ـ يمكن تاريخ الآثار والمخلفات الدالة على هذه الحضارات باتباع ما يلى :ـ

ب – **طرق نسبية ومقارنة** : وتتلخص هذه فيما يأتى :ـ

١ ـ دراسة الطبقات التى توجد بها الآثار وتقدير عمرها جيولوجيا وبالتالى يمكن تاريخ الآثار التى توجد فيها وعلى هذا يمكن تأريخ الحضارات الدالة عليها ففى حالة الطبقات الرسوبية مثلا يمكن احتساب معدل الأرساب وعلى أساس سمك الطبقة الناتجة عنه يمكن تقدير عمر تلك الطبقة والمخلفات الحضارية التى وجدت بها ، كذلك يمكن تقدير عمر بعض الحفريات التى توجد فى طبقة من الطبقات فى مجاورة بعض المخلفات الحضارية وبالتالى يمكن تقدير عمر تلك المخلفات والحضارات المنتجة لها كما يمكن كذلك الاستعانة بعلم النبات القديم Palaeo - Botany عند دراسة حفريات أو مخلفات نباتية وبعلم الحيوان الوصفى Descriptive Zoolsgy الذى يمكن

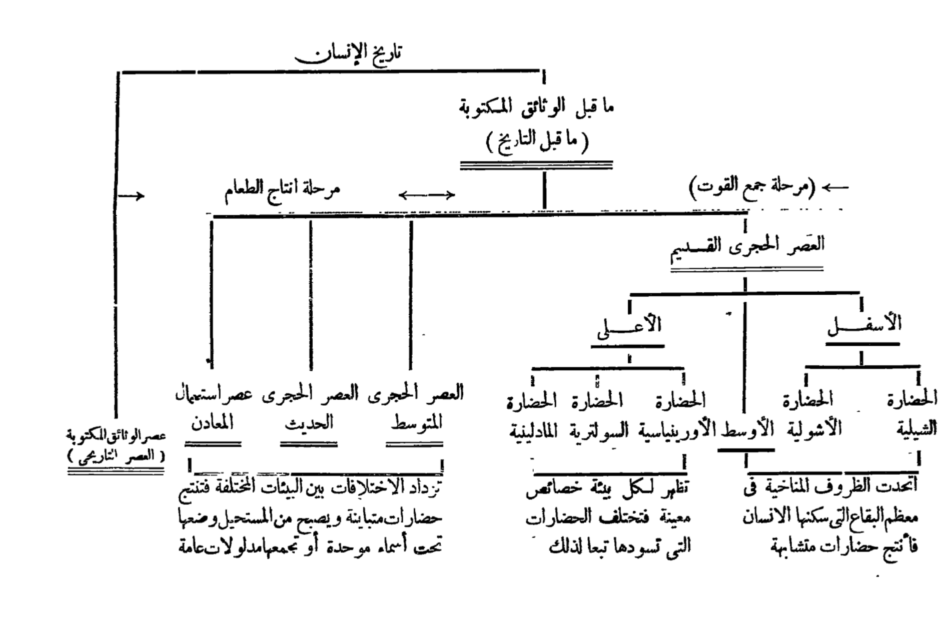
عن طريقه استنتاج تاريخ المخلفات والهياكل الحيوانية التى يعثر عليها ، ومن الممكن أيضاً عن طريق هذه العلوم استنتاج الظروف المناخية التى سادت خلال تلك الحضارات التى ندرس آثارها ومخلفاتها - بل ومن الممكن فضلا عن هذا تقدير الزمن الذى استغرقته حضارة من الحضارات بدراسة حلقات النمو فى القطاع الأفقى للأشجار التى أستخدمت فى الصناعة فى مخلفات تلك الحضارة أو التى وجدت بقايا منها بين آثارها حيث يسهل تقدير عمر هذه الأشجار على أساس حلقات النمو فى قطاعها الأفقى .

٢ - **دراسة الطرز ومقارنتها** (التيبولوجيا Typology) وبمقتضاها نقارن الآثار التى يعثر عليها فى مناطق مختلفة بعد دراستها دراسة فاحصة شاملة بحيث يصبح فى الامكان استنتاج تاريخ تلك الآثار بعضها إلى البعض الآخر - ويمكن القول اجمالا بأن تشابه آثار جهة من الجهات لآثار منطقة أخرى يوحى بأن الحضارات المنتجة لها كانت متعاصرة أما اختلاف تلك الآثار فيدل على أن هذه الحضارات لم تكن متعاصرة ، ومن الجائز - على أساس ما نشاهده من تطور فى آثارها - أن نحدد أيها كانت الأسبق وبناء على هذه القاعدة أيضا يمكن ترتيب الآثار التى يعثر عليها فى منطقة من المناطق على حسب التطور الذى يحدث فى طراز وصناعة نوع أو أنواع معينة من هذه الآثار ، وأول من أستعمل هذه الطريقة فى مصر هو الأثرى الأنجليزى Sir Flinders Petrie حيث اتخذ من الفخار الذى

عثر عليه بين آثار منطقة نقادة أساسا لتأريخ تلك الآثار إذ أنه رتب أنواع الفخار التى عثر عليها حسب ماشاهده من تطور فيها وبالتالى أمكن ترتيب الآثار التى وجدت معها بالنسبة إلى بعضها البعض كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

جـ - **طريقة الكربون ١٤** : هى أحدث طريقة ولكنها مع الأسف لاتعطى نتائج مؤكدة تماما كما أنه لا يمكن إجراؤها إلا على المواد النباتية فحسب ، ومع هذا فقد اتفقت النتائج التى أمكن الحصول عليها عند تأريخ نفس تلك الآثار بالطرق الأخرى ، وتعتمد طريقة كربون ١٤ هذه على نظرية تتلخص فى أن النباتات تكتسب من تفاعل الاشعة الكونية بالغلاف الجوى — المحيط بتلك النباتات - كربون ١٤ المشع وبانتهاء حياتها يتحول هذا الكربون الذى تكون فيها - بسرعة ثابتة - إلى كربون ١٢ غير المشع فى فترة تقدر بحوالى ضعف المدة ٥٥٦٨ ± ٣٠ سنة وبقياس بقايا كربون ١٤ المتخلف فى أى مادة نباتية يمكن احتساب عمرها وبالتالى يمكن تقدير تاريخ الحضارة التى وجدت فيها بقايا من هذه المادة .

ومهما يكن من عدم كفاية المصطلحات التى أتبعها العلماء فى تقسيم تاريخ الانسان وحضاراته فإنها أصبحت أقوى من أن نهملها أو أن نحاول إيجاد بديل لها ولذا فإن من المستحسن أن نوضح تقسيم تاريخ البشرية على النحو الآتى :-



تاريخ الإنسان
ما قبل الوثائق المكتوبة
(ما قبل التاريخ)
(مرحلة جمع القوت)
مرحلة انتاج الطعام
العصر الحجرى القديم
الأسفل
الأعلى
الحضارة الشيلية
الحضارة الأشولية
الأوسط
الحضارة الأورنياسية
الحضارة السولترية
الحضارة المادلينية
العصر الحجرى المتوسط
العصر الحجرى الحديث
عصر استعمال المعادن
عصر الوثائق المكتوبة
(العصر التاريخى)
اتحدت الظروف المناخية فى
معظم البقاع التى سكنها الانسان
فأنتج حضارات متشابهة
تظهر لكل بيئة خصائص
معينة فتختلف الحضارات
التى تسودها تبعا لذلك
تزداد الاختلافات بين البيئات المختلفة فتنتج
حضارات متباينة ويصبح من المستحيل وضعها
تحت أسماء موحدة أو تجمعها مدلولات عامة

نشأة الحضارة وتطورها

ظهرت أقدم السلالات البشرية [1] فى جهات متفرقة من العالم القديم لا تكاد تختلف فى ظروفها الطبيعية أو المناخية بعضها عن البعض الآخر ولذا لم تختلف المراحل الأولى لحياة البشر فى أوراسيا عنها فى أفريقيا. ولم يتميز الانسان فى منطقة عنه فى منطقة أخرى فالكل سواء فى أنهم كرسوا حياتهم لجمـــع القوت الضرورى لطعامهم ، ويرى البعض أن الانسان فى بدء حيـاته كان يستعين ببعض القطع الطبيعية الملائمة من الأحجار أو فروع الأشجار يلتقطها - كما هى دون تهذيب — للافادة منها فى أغراض الصيد والقتال وجمع القوت وقد استمر الانسان إما هاربا من وجه عـــدو من الحيوان أو الانسان وإما مطاردا لفريسته منهما فترة طويلة لم يتوصل فيهـا إلى أى شىء من أسس الحضارة ولم يعرف كيف يوقد النار وقد أطلق على هذه الفترة « فجر العصر الحجرى » أو « العصر الأيوليثى » Eolithic Period ولكن غالبية العلماء لايرون مبررا لجعل هذه الفترة مرحلة حضارية قائمة بذاتها ويدخلونها ضمن أولى المراحل الحضارية التى مر بها الانسان.

وإذا ما نظرنا إلى مخطط تقسيم البشر لوجدنا أن أقـدم عصور ما قبل الكتابة وهو « العصر الحجرى القديم » ينقسم ثلاثة أقسام هى على حسب الترتيب الطبيعى للطبقات التى وجدت آثارها فيها : ـ عصر

(١) أنظر أعلاه ص ٢ ملحوظة ١

حجرى قديم أسفل عصر حجرى قديم أوسط ، عصر حجرى قديم أعلى ، وقد شملت هذه الأقسام مراحل حضارية سميت بأسماء الأماكن التى وجدت بها أهم أو أقدم آثار هذه المراحل الحضارية : فالعصر الحجرى القديم الأسفل يشمل الحضارتين الشيلية والأشولية نسبة إلى بلدة Chelles على نهر المارن بفرنسا وإلى كهف Saint Acheul بفرنسا كذلك ، أما العصر الحجرى القديم الأوسط فقد سادته الحضارة الموستيرية ـ نسبة إلى كهف Le Moustier بفرنسا ـ إلا أن تغير الظروف المناخية خلاله نظرا لابتداء العصر الجليدى الرابع جعل العالم القديم ينقسم إلى قسمين كبيرين : أوراسى وأفريقى ، وفى العصر الحجرى القديم الأعلى وجدت الحضارات الأورينياسية والسولترية والمادلينية نسبة إلى كهف أورينياك Aurignac وبلدة سولترى Solutrê فى وادى الساؤن وكهف لا مادلين La Madelene فى الدردنى ـ وازداد تباين المناخ خلال هذا العصر فبينما ظل المناخ على برودته فى أوراسيا كان المناخ فى أفريقيا ما زال ملائما لأن يعيش الانسان فى الهواء الطلق ولكنه أصبح أقل أمطارا وأكثر جفافاً وأدى هذا بدوره إلى انخفاض مستوى المياه فى الأنهار والمجارى المائية وبدأت البيئات المحلية تتميز بعضها عن بعض ثم أخذت مميزات البيئات المحلية تزداد وضوحاً حتى أصبحت لكل منها فى العصور التالية ظروفها وحضاراتها الخاصة .

ونظراً لأن الحضارات الأولى التى تمثلت فى العصر الحجرى

القديم الأسفل وفى العصر الحجرى القديم الأوسط لم تختلف فى صناعاتها بين منطقة وأخرى فسنشير إلى خصائص هذه الحضارات ومظاهرها فى هذين العصرين .

العصر الحجرى القديم الأسفل :

الحضارة الشيلية : سبق أن أشرنا[1] إلى أن الانسان بدأ حياته يحاول الإفادة مما يلتقطه من قطع حجرية وفروع أشجار فى الدفاع عن نفسه وفى الصيد وجمع القوت وفى بداية العصر الحجرى القديم الأسفل (أى فى الحضارة الشيلية) أخذ يحاول تهذيب القطع الحجرية كى تصبح مناسبة لقبضة اليد وفى نفس الوقت ذات حافة حادة فكان يتخذ كتلة كريه من الحجر الصلب بمثابة مطرقة يهذب بها القطعة الصوانية التى يريد تهذيبها ويبدأ بطرق حافات هذه القطعة الصوانية من أحد وجهيها بعناية ثم يقلبها على الوجه الآخر ويطرقها على النحو السابق بحيث تصبح كمثرية الشكل ويكون حوالى ثلثى محيط القطعة حادا كالمبراة بينما يبقى الثلث الباقى بقشرته الأصلية دون تهذيب وذو شكل مستدير فى الغالب لكى تتمكن اليد من القبض عليه وقد عرفت هذه الآلة باسم الفأس اليدوية Coup de poing (Hand Axe) ومن هذا يتضح أن الآلة كانت تتخذ من النواة نفسها (شكل ١) .



شكل (١) فأس يدوية شيلية

(١) أنظر ص ١٠

ومن المحتمل أن المكاشط Scrapers وجدت فى هذه الحضارة إلى جانب الفئوس اليدوية وهذه كانت عبارة عن قطع مستديرة من الصوان تمتاز بحافة حادة مستقيمة وكانت تستخدم فى قطع اللحم وكشط الجلد وربما وجد الانسان نفسه فى أواخر هذه الفترة بحاجة إلى ثقب الجلد فجعل بعض فئوسه اليدوية تدق وتستطيل بحيث أصبحت مثقابا borer .

وعلى العموم لا نجد تنوعا كبيرا فى شكل الآلات أو أغراض استعمالها خلال هذه الحضارة إذ كان الإنسان يستخدم الآلة الواحدة فى أغراض شتى ، ومع كل كان لابد أن يستعمل عدداً كبيرا من من هذه الآلات إذ كان يلتى بها عدوه أو فريسته .

وقد عاش الانسان فى هذه الفترة صيادا متجولا وكان المناخ فى عصره دافئا فلم يلجأ إلى الكهوف إلا حيث يشتد المناخ وعاش فى العراء ينتقل من مكان إلى مكان وكانت قدرته على التفكير محدودة ويظن أنه كان من تلك الأجناس القريبة الشبه بالقردة العليا ـ ورغم هذا لم توجد آثاره فى أماكن عديدة وربما كان ذلك لقلة أعداده نسبيا ومن المرجح أن الانسان فى هذا العصر وصل إلى أوربا من شمال أفريقيا عن طريق جبل طارق لأن آثاره لم تكتشف فى وسط أوربا وشرقها ولم توجد إلا محطة شيليه واحدة فى شمال إيطاليا أما معظم آثاره فقد وجدت فى غرب أوربا وأسبانيا .

الحضارة الأشولية:

لا نكاد نجد فارقاً كبيراً بين هذه الحضارة وسابقتها فقد ظل يستعمل الفأس اليدوية ولكنها كانت أكثر إتقاناً من الفأس الشيلية (شكل ٢) وأصغر منها حجما إذ أن الإنسان الآشولى لم يكتف بتهذيب حافة الآلة بل كان يهذب سطحها كله تاركا أقل سطح ممكن من القشرة الاصلية فى أسفل الاداة لكى يجعل شكلها متناسقا كما أنه لم يكتفى باستعمال الفأس اليدوية المؤخوذة من النواة وحدها بل بدأ يستغل كذلك بعض الشظايا فاتخذ منها بعض أدواته كما استعمل بعض الآلات الخشبية والعظمية وكثر عدد المكاشط والمثاقيب التى استخدمها .



شكل ٢ ـ فأس يدوية أشوليه

ويبدو أن المناخ ظل على حالته السابقة من الدفء وكثرة التساقط ولكنه أخذ بعد ذلك فى البرودة والجفاف ولذا نجد أن آلات الانسان فى ذلك العصر تختلط أحيانا ببقايا حيوانات من التى تعيش فى مناطق دفيئة وفى أحيان أخرى تكون مختلطة ببقايا حيوانات من ذوات الفراء الا أنه على العموم لم يكن من القسوة بحيث يضطر الانسان الى الالتجاء الى الكهوف فظل يعيش فى العراء صيادا ولكنه كان يفضل القرب من مجارى المياه بدليل وجود معظم آثاره عندها ـ وربما كان بدء اشتداد البرودة هو الذى أدى به الى اختراع النار واستعمالها

فقد وجدت بين أدواته مخلفات المواقد ولكنها كانت قليلة على العموم .

ويرى البعض تسمية بعض صناعات هذه الحضارة باسماء مختلفة فى بعض جهات أوربا ولكنهـا على العمـوم لا تخرج عن كونهـا صناعات أشولية وقد ظلت السلالات البشرية البدائية تعيش خلال هذه الفترة ويمثلها فى أوربا إنسان هيدلبرج وفى إفريقيا إنسان روديسيا ولكن لم يوجد فى الشرق الأولى من البقايا العظيمة ما يبين نوع إنسان هذا العصر .

العصر الحجرى القديم الأوسط :

الحضارة الموستيرية :

تتميز هذه الحضارة عن سابقاتها بأن معظم أدواتهـا من الشظايا وكانت تصنع بواسطة تشكيل الآلة على الكتلة نفسها ثم تفصل عنها بطريقة واحدة وبعد ذلك تشظى حافتها ولا يوجد فى هذه الحضارة إلا أدوات قليلة من النواة (شكل ٣) ـ وقد تعددت أشكال الشظايا الموستيرية وبدأت تظهر فيها المـكاشط الجانبية أى التى شظيت من أحد جانبيهـا فقط ورؤوس الحراب مما أدى إلى تضاؤل شأن الفأس



شكل ٣ ـ آلة مستيرويه

اليدوية ـ ونظرا لاشتداد البرودة فان الانسان لجأ إلى الكهوف فى أوربا وربما اضطرته هذه الظروف إلى التكدس فيها فأتاحت هـذه

الحياة الجماعية الفرصه لرقيه الاجتماعى وتقدمه فى التفكير وفرضت عليه قسوة المناخ مطالب جديدة كصنع الملابس من الجلود اتقاء من البرد .

ويستدل من البقايا البشرية التى عثر عليها فى جهات كثيرة من غرب أوربا على أن إنسان هذا العصر كان من السلالة المعروفة باسم إنسان نياندرثال ويعتقد البعض أن أعدادا كبيرة منه هاجرت إلى أفريقيا ـ لاشتداد البرد ـ عن طريق جبل طارق ومالطه وصقلية وقد انتشر هذا الانسان إلى وادى النيل ولكن يبدو أنه انقرض تماما بعد هذا العصر وظهر الانسان الحديث (أى الانسان العاقل Homo sapiens) فى العصر التالى أى فى العصر الحجرى القديم الأعلى ومنذ ذلك الحين أخذت حضاراته فى التطور والتشعب إلى وقتنا هذا ـ ومادام موضوعنا قاصرا على تاريخ الشرق الأردنى القديم قبل عصوره التاريخية فسنكتفى بدراسة حضاراته من أقدم العصور إلى وقت معرفة الكتابة .

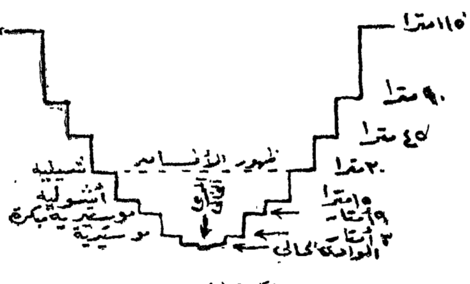
أهم المؤثرات فى حضارة الشرق الأدنى القديم

سبق أن بينا أن التشابه الحضارى ظل قائما بين أوراسيا وأوربا طالما كانت الظروف الطبيعية والمناخية متقاربة وما أن أخذت هذه الأخيرة فى التغير حتى بدأت المناطق المختلفة تتميز عن بعضها البعض ولعبت كل بيئة دورها فى تطور الحضارة التى نشأت فيهـا ، وكانت وديان الأنهار العظيمة بصفة خاصة أعظم المناطق حضارة ورقيا وكان لهـا أكبر الأثر فى تاريخ العالم القديم ومن أهم هذه الوديان تلك التى تقع فى اقليم الشرق الأدنى بصفة عامة ومصر والعراق بصفة خاصة فاذا ما نظرنا إلى خريطة للعالم القديم لوجدنا أن الصحارى الواسعة تمتد فيه عبر شمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا بحيث تمثل إقليمـا متميزا يحتل وسط العالم القديم .— ولم يكن هذا الاقليم دائما عـلى حالته الراهنة من الجفاف والجدب بل كان فى العصور السحيقة ينعم بكمية من الرطوبة والتساقط هيأت له حياة نباتية وحيوانية كافيـة وأصبح فى مقدور سكانه أن يلعبوا دورا كبيرا فى تطور الحضارة وانتشارها إذ أن المركز المتوسط الذى كان يشغله هـذا الاقليم قـد أتاح الفرصة لبعض المظاهر الحضارية كى تنتقـل منه إلى الاقاليم المجاورة ومن الأقاليم المجـاورة اليه كذلك ، فمن المعروف أن عصور تقـدم الجليد فى أوربا والفترات الدفيئة التى تراجع فيهـا كانت تقابلها أدوار مطيرة فى العروض الدنيا التى تشغلها هذه الصحارى

الآن ولم يقل التساقط إلا فى فترات تراجع الجليد الباردة ، وعلى هذا يمكن القول بأن ذلك الإقليم ظل ينعم بظروف مناخية ملائمة إلى أوائل العصر التاريخى تقريبا وإن كان الجفاف قد أخذ يحل فيه إبتداء من نهاية العصر الحجرى القديم الأسفل ولكنه لم يصل إلى ذروته من الشدة إلا فى العصر الرومانى ولولا أحواض الأنهار فى مصر وسوريا والعراق وغيرها لأصبحت هى الأخرى جزءا من الصحارى المحيطة بها .

وفى بداية الأمر كان الانسان ينتشر فى تلك المناطق الواسعة ولكنه حرص على أن يظل قريبا من مجارى المياه التى كانت تتمثل فى الأنهار العظيمة الحالية وكثير من أودية الصحراء التى صارت جافة الآن فلما أخذ الجفاف يشتد أصبح الانسان لا يبعد فى إقامته كثيرا عن المجارى المائية الدائمة والأنهار العظيمة مثل نهر النيل ونهرى دجلة والفرات وأنهار سوريا وآسيا الصغرى وغيرها ـ ونظرا لأن تلك الأنهار لم تعمق مجاريها إلا بعد وقت طويل ولأن كمية التساقط كانت أكبر منها الآن فان السهول الفيضية لتلك الأنهار كانت فى مستوى أكثر ارتفاعا من مستواها الحالى وكانت أكثر امتدادا على الجانبين ـ وكلما عمق النهر مجراه وقل التساقط كلما أخذت سهوله الفيضية تنخفض ويقل امتدادها أى أن مياه النهر كانت تنحسر عن جانبيه تدريجيا ، وكان الانسان يتبع مياهه دائما حيث يظل يهبط من الهضبة ليعيش على جانبى النهر تاركا وراءه مخلفات فى الجهات التى يعيش فيها من

قبل ـ وهكذا نجد أن أقدم ما عثر عليه من آثار الانسان وجد بعيدا فى قلب الصحراء وعلى منسوب أكثر إرتفاعا من منسوب الوادى الحالى، وعلى هذا نجد أن أقرب الآثار فى تاريخها إلى عصرنا الحالى هى أقربها إلى الوادى وتوجد فى منسوب أقل ارتفاعا من الآثار التى ترجع إلى عهود أقدم وهكذا نجد أن آثار الحضارات المختلفة تقع فى مدرجات على جانبى النهر ويكون وضعها عكسيا بالنسبة لما نعهده من وضع معتاد للآثار التى يعثر عليها فى طبقات متتالية وفق ترتيبها الزمنى .



شكل رقم (٤)

مدرجات النيل فى العصور المختلفة

والخلاصة أن موقع الشرق الأدنى فى العالم القديم وتضاريسه والظروف المناخية التى سادته كان لها أكبر الاثر فى تاريخه الحضارى.

وسنتناول فيما يلى حضارات ما قبل التاريخ فى أقطاره المختلفة .

أولا : ما قبل التاريخ فى مصر

فى الوقت الذى كان فيه العلماء فى أوربا يحاولون التوصل إلى معرفة أصل الانسان بالتعمق فى دراسة عصور ما قبل التاريخ كان فريق آخر يجاهد فى سبيل معرفة تاريخ مصر الفرعونية من مصادرة الاصلية عن طريق حل رموز اللغة المصرية المدونة على الآثار وقد ذهب غالبيتهم فى ذلك الوقت الى أن مصر لم تعرف عصور ما قبل التاريخ وأن المدنية المصريه لم تنشأ فى صميم بيئتها بل بدأت فجأة بقيام الاسرة الاولى أو قبلها بقليل ، فهى بناء على هذا الرأى نتيجة لجهود جماعة من الأجانب وفدوا الى مصر اما غزاة أو مهاجرين مسالمين حيث أقاموا فيها نظاما للحكم وكان مينا وخلفاؤه من نسل هؤلاء الاجانب — وقد تشيع لهذا الرأى عدد من العلماء من بينهم بترى وحاولوا معرفة الموطن الاصلى لهؤلاء الوافدين والجنس الذى ينتمون اليه والطريق الذى سلكوه وقد ثار كثير من الجدل حول هذه الموضوعات — ومع هذا فحينما أقيم الاحتفال بافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٨ وفد إلى مصر عددا من العلماء كان من بينهم العالم الجيولوجى أرسلان Arcelin الذى تجول فى أنحاء مصر فوجد أدوات حجرية فى منطقة الأهرام وفى الأقصر تشبه تلك التى وجدت من العصور الحجرية فى أوربا ، ورغم استمرار إنكار البعض لوجود العصر الحجرى فى مصر فقد ظلت الجهود مستمرة الى أن انتهى الامر باثبات وجود العصور الحجرية فى مصر بما لا يدع مجالا للشك . ومع

ان العصور الحجرية التى وجدت في مصر كانت آثارها تماثل آثار تلك العصور التى وجدت فى أوربا بنفس الترتيب تقريبا الا أن كثيرا من العلماء ما زالوا يظنون بأن الحضارة ليست أصيلة فى مصر.

ولا يمكننا مع الأسف أن نحدد الجنس الذى كان أول من استقر بمصر فى أقدم العصور اذ لم يعثر على بقايا بشرية لأصحاب أقدم الحضارات التى عرفت فيها أو قريبا من وادى النيل — وقد حاول الباحثون أن يتعرفوا عليهم من البقايا التى عثر عليها من عصور لاحقة ولكن جهودهم لم يحالفها التوفيق تماما حتى الآن حيث أن العناصر التى تدخل إلى مصر فى عصورها المختلفة لا تلبث أن تندمج مع السكان الأصلية وتختلط مميزاتها الجنسية أو تفقدها فلا يظهر من مميزات الأجناس الأخرى الا آثارها ملطفة بدرجات متفاوتة ومن حين الا حين.

العصر الحجرى القديم

ا : العصر الحجرى القديم الاسفل :

١ – الحضارة الشيلية :

وجدت آثار هذه الحضارة فى مناطق مختلفه من القطر المصرى وان كانت معظمها فى مناطق بعيدة عن الوادى، فى الصحارى أو فى التلال التى تحف بالوادى، وهى لا تخرج عن كونها آلات حجرية تشبه تلك التى عثر عليها فى أوربا أى من الفئوس الحجرية وان كان بعضها يهذب بحيث تصبح الآلة ذات أوجه ثلاثة (كمنشور ثلاثى

فى جزئها المشغول) بدلا من وجهين كما فى الفئوس الشيلية الأخرى وربما كان اختيار النواة من الحصى المربع هو السبب فى انتاج هـذا الشكل لأن الانسان كان يكتفى بتشظيتها من أعلاها بضربة واحـدة أو ببعض الضربات فتصبح ذات شكل هرمى ، على أنه يجب أن لا يعتبر هـذا النوع من الأدوات مميزا للصناعة الشيليـــة فى مصر إذ أن الفئوس اليدوية الأخرى لا تختلف عن زميلاتهـا فى سائر أنحاء العالم القديم (شكل ٥) .





شكل ٥ ـ آلات شيلية من مصر

٢ ـ الحضارة الأشولية :

إزدادت العنـــاية بالفئوس الهرميـــة فشذبت حافتهـــا وصغرت فى الحجم واستطالت فأصبحت رفيعة خفيفة ولها حد مستقيم مشطوف كما وجدت فئوس أخرى من الشكل المعتـــاد فى الصناعه الأشولية فى أوربا وظهرت بعض الأدوات الأخرى مثـل المخارز المدببة الأطراف والأسلحة الحجرية ذات الحدود المتعرجـة أو المستقيمة ، أما المكاشط فقد أصبحت قليله العـــدد (شكل ٦) ولم




شكل ٦ ـ آلات آشولية من مصر

يكتف بصناعة هذه الآلات من الصوان بل استعملت بعض أنواع أخرى من الأحجار فى صناعتها كذلك .

هذا ولم يعثر على بقايا عظميه يستدل منها على السلالات التى عاشت فى وادى النيل خلال العصر الحجرى القديم الأسفل ولكن وجدت بقايا حيوانية فى بعض المناطق يستدل منها على أن المنـــاخ والنبات والحيوان كلها تشبه ما كان سائدا فى أوربا إن كان من المرجح أن المناخ كان أكثر ميلا إلى الدفء وكثرة الرطوبة بدليل العثور على بقايا تماسيح وفيله وفرس النهر .

ب ـ العصر الحجرى القديم الاوسط :

سبق أن بينا أن تغير الظروف المناخية قد أدى إلى تنوع الحضارات فانقسم العالم خلال هذا العصر إلى قسمين كبيرين : أوراسى وأفريقى ـ وأن الانسان فى أوراسيا قد آوى إلى الكهوف بينما ظل فى أفريقيا يعيش فى العراء ، ومع كل فإن الأدوات التى اتخذها الإنسان فى مصر فى أوائل هذا العصر لم تختلف عن مثيلاتها فى أوربا أى أنهـــا كانت

تمثل الصناعة الموستيرية ومعظمها من الشظايا وهى عبارة عن رقائق من الحجر تمثل نصالا مدببة ومحتات Scrapers وغيرها (شكل ٧) -





شكل ٧ ـ أسلحة موستيرية

ومن المرجح أن هذه الصناعة قد استمرت فى مصر فترة أطول من استمرارها فى أوربا ولكنها أخذت تتطور وتنوعت أدواتها حسب أغراض الانسان المتزايدة وصغرت فى حجمها واتخذت أشكالا هندسية حتى أطلق على الأدوات التى ظهرت فى أواخر هذا العصر اسم الصناعة الموستيرية المصرية « أو ما قبل السبيلية » .

وهى فى واقع الأمر تمثل مرحلة مبكرة من حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فى مصر ـ وقد يرى البعض أن الحضارة العاطرية التى ظهرت صناعاتها فى الواحات الخارجة والفيوم تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة الموستيرية المصرية كما ان البعض يلحق بها الحضارة السبيلية [1] التى ظهرت فيما بعد ولكن لا يمكن تأكيد ذلك بصفة قاطعة .

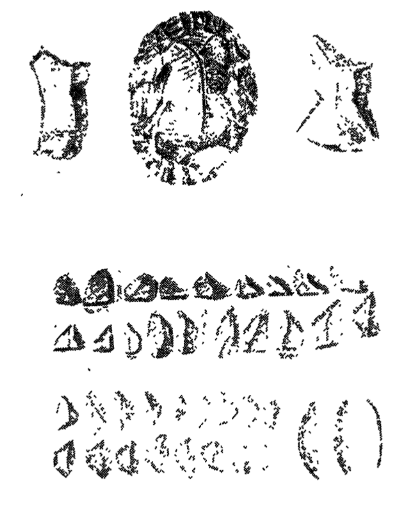
(١) نسبة الى قرية السبيل قرب كوم أمبو وسنشير الى هذه الحضارة فيما بعد ـ أنظر ص ٢٦ .

ولم يعثر على بقايا يستدل منها على جنس الانسان الذى عاش فى مصر خلال هذه الفترة وإن كان من المرجح أن الانسان الحديث كان يعيش فى وادى النيل بالفعل كما يستدل على ذلك من أدواته المتقدمة التى تركها خلافا لما عرف فى أوربا حيث ظل انسان نياندرثال يعيش فى كهوفها طوال هذا العصر ولكنه انقرض بعد ذلك وحل الانسان الحديث بعد ذلك فى أوربا فى العصر التالى أى فى العصر الحجرى القديم الأعلى .

العصر الحجرى القديم الاعلى .

ازداد التباين بين أوربا وأفريقيا فبينما أخذت شدة البرودة تزداد فى أوربا ظل المناخ فى أفريقيا ملائما لأن يعيش الانسان فى الهواء الطلق ولكنه أصبح أقل أمطارا وأكثر جفافا من فترة الحضارة الموستيرية فانخفض مستوى الماء فى الانهار والمجارى المائية وقلت الحياة النباتيه وتبدلت أنواع الحيوانات فى مساحات واسعة من العالم القديم فأخذ الانسان فى هجرها إذ رأى أنها تتحول صحارى مجدبة واضطر أن يحصر إقامته فى الاماكن القريبة من مجارى المياه ، ولم يترك إنسان أفريقيا من هذا العصر آثارا تعادل فى مستواها من الناحية الفنية تلك التى تركها زميله المعاصر له فى أوربا ولم تتعدد مظاهر حضاراته فى المناطق المختلفة كما حدث فى أوربا بل سادت فى شمال أفريقيا حضارة واحدة هى الحضارة القفصية (نسبة إلى قفصه فى شمال تونس) استمرت إلى ما بعد العصر الحجرى القديم الأعلى أى ما يقابل العصر الحجرى المتوسط

إلا أن مصر نظرا لظروف بيئتها الخاصة انفردت فى حضارتها بمظاهر مميزة مما دعا إلى تسميتهـا باسم « الحضارة السبيليـة » وإن كانت فى واقع الأمر متفرعة عن الحضارة القفصية - ويرى البعـض أن الحضارة القفصية قد مرت بأربعة مراحل تتفق الثلاثة الأولى منهـا وأقسام العصر الحجرى القديم الأعلى أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد عبروا عنها باسم مرحلة الانتقال إلى العصر الحجرى الحديث أى أنهـا



شكل ٨ ــ أدوات سبيلية (موستيرية مصرية)

تتفق والعصر الحجرى المتوسط ـ كما يرى البعض تقسيم الحضـــارة السبيلية فى مصر إلى ثلاثة مراحل تقابل أقسام العصر الحجرى القديم الأعلى وحضارة العصر الحجرى المتوسط فى أوربا أى أن المرحلتين الثانية والثالثة تمتدان الى ما يقابل العصر الحجرى المتوسط ، ومهما كان الأمر فإن الآلات التى اتخذت فى هذا العصر كانت صغيرة على العمـــوم وتغلب فيها الأشكال الهندسية (شكل ٨) . ولدقة هذه الآلات أطلق عليها اسم الآلات الميكروليثية Microlithic . وقد كشف إدموند فينيارد . . Edmond Vignard عن عــــدة مواقع تنتمى إلى هذا العصر فى مصر ومن أهمها قرية السبيل التى سبقت الاشارة اليها (١) وقد ظل الانسان يعتمد على الصيد فى حياته ـ ويبدو أن انسان نياندرثال قد اختفى من أوروبا وحلت محله أجناس أخرى .

العصر الحجرى المتوسط

يعد هـذا العصر مرحلة الإنتقـال بين حضارات العصر الحجرى القديم الأعلى والعصر الحجرى الحديث فى أوربا ولم تستغرق هـــذه المرحلة زمنا طويلا بل وكثيرا ما نجدهـا تختفى فى كثير من المناطق ولا نكاد نلمسها فى شمال أفريقية ومصر فالقفصية فى الأولى والسبيلية فى الثانية تمتدأن إلى العصر الحجرى الحديث ولذا لا يشار اليها فى دراسة العصور الحجرية فى تلك المناطق .

---

(١) أنظر أعلاه ص ٢٤

وقد درج العلماء على تقسيم الفترة التى تقع بين الحضارة السبيلية وعصر الأسرات ـ فى مصر إلى عصر حجرى حديث وعصر ما قبل الأسرات ـ ولكن نظراً لأن الحضارات التى ترجع إلى ما بعد السبيلية لم تدرس بدقة تامة كما أنها جميعا عرفت المعــادن فإن من المستحسن اعادة النظر فى دراستها حتى يمكن تأكيد ترتيبها الزمنى ولا بأس من أن تدخل جميعها فى عصر ما قبل الأسرات لأن وجود المعادن فيها يجعل انتساب بعضها إلى العصر الحجرى الحديث غير صحيح ومع هذا فسوف نتبع فى دراستها التقسيم الذى ما زال مألوفا لدى معظم المؤرخين على النحو التالى .

العصر الحجرى الحديث

ازداد تغير المناخ فأصبحت الاختلافات بين البيئات المحلية أكثر وضوحا وازداد الجفـاف فى الشرق الأدنى حتى أصبح فى جفافه قريبا من مناخنا الحالى وبذلك اضطر الانسان أن يقترب من الوديان أكثر من ذى قبل ، ولم يغامر بالابتعاد عن الانهار فاستقر فى جماعات بالقرب منها والجأته الحاجة إلى ضمان غذائه فاستأنس الحيـوان وعرف الزراعة ، وكان من الضرورى وقد عرف الزراعـة أن يختزن محصوله فعرف صناعـــة الأوانى وبذلك أقام حياته على أسس اقتصادية ثابتة .

وانتقل أهل مصر من حياة البداوة إلى حياه الاستقرار ، وكان فيضان النهر المنتظم من الجنوب إلى الشمال وهبوب الرياح السائـدة

من الشمال إلى الجنوب من أهم الاسبـــاب التى أدت إلى تنظيم المجتمع المصرى والتمهيد لقيام حكومة تأتمر بأمرها الجماعات المختلفة إذ أن الفيضان السنوى كان - من جهة - يشــكل خـــيرا مشتركا يعمل الجميع على الإفادة منه قدر المستطاع فعرفوا كيفية تصريفه الى أماكن زراعتهم عن طريق قنوات وحفر ورفعوا مياهه إلى الاراضى التى تعلو عن مستواه ، كما كان - من جهة أخرى - يشكل خطرا مشتركا يعملون على مجابهته عند ارتفاع فيضـانه الى درجة الخطورة أو اذا انخفض مستواه عن الحاجة ، وقد وجدت الجماعات المستقرة على جانبيه أن من اليسير التجول فيه نحو الشمال بمساعدة تيار اندفاعه ونحو الجنوب بمساعدة الرياح السـائدة وعلى ذلك احتكت هذه الجماعات بعضها بالبعض فنشأت بينها مصالح مشتركة ونشب النزاع فيما بينها تبعا لذلك إذ كانت كل جماعة تحاول بسط نفوذها على جيرانها إلى أن أدى الأمر فى النهاية إلى توحيد شطرى مصر (فى مملـكتين كبيرتين : الوجه البحرى والوجه القبلى) قبل بداية عهد الاسرات .

ولما كان الوجة القبلى يختلف فى طبيعته عن الوجـــه البحرى ، فالوادى فى الوجه القبلى عبارة عن شريط ضيق من الأراضى الزراعية على جانبى النهر تحف به هضبتين صخريتين من الشرق والغرب أما الوجه البحرى فتتسع أراضيه الزراعية إلى درجة كبيرة وتكثر بها المستنقعات وتتخللها البحيرات والقنوات وهى بعيـدة فى معظمها عن الصحارى ، كذلك يتميز الوجه البحرى عن الوجـه القبلى بأنه أقرب منه نسبيا

الى آسيا وأوربا ، ولذا كانت الحضـــارات التى نشأت فى كل من هذين الاقليمين تتسم بمظاهر خاصة تجعلنا نميز فيما بينهما ـ أما الفيوم التى تعد أشبه بواحة فى الصحراء بين هذين القسمين من مصر ولكنها أقرب إلى الوجه البحرى فقد اشتركت حضارتها (فى صفاتها) مع حضاراته أكثر من إشتراكها مع حضارات الوجه القبلى ولذا ألحقناها به وإن كنا نميل إلى جعلها حضارة قائمـــة بذاتها [1] .

والحضارات التى تمثل هذا العصر فى الوجه القبلى هى :

دير تاسا والبدارى .

والحضارات التى تمثل هذا العصر فى الوجه البحرى هى :

حلوان الأولى « العمرى » مرمدة بنى سلامة

وقد سبق أن ذكرنا أن الجفاف كان له أكبر الأثر فى هبوط السكان من الهضبة إلى الوادى قرب مجرى النهر وانتظامهم فى جماعات وقرى بعد أن اخترعوا الزراعة واستأنسوا الحيوان وكان من أثر ذلك أن انتظمت تلك القرى فى اتحـــادات تدافع عن نفسها ضد خطر مشترك أو ابتغـــاء لمصلحة مشتركة وكان النيل من أقوى أسباب الأتحاد كما كان أهم وسيلة للمواصلات ، وكان لتشابه البيئات المحلية فى كل من شطرى الوادى أثره فى تشابه حضاراتها ولكن هذه كانت تختلف فى

---

(١) أنظر فيما بعد ص ٢٨ .

الدلتا والفيوم عن نظائرها في الصعيد ثم أخذت كل بيئة تنفرد في حضاراتها تبعا لعوامل البيئة المحلية إلا أنها على العموم امتازت بتقدم صناعة الفخار وصقل الآلات الحجرية ـ وكانت الحياة في وادى النيل تشبه نظيرتها الآن وأن أختلفت بعض الشيء فمثلا كانت المستنقعات تسود الدلتا والأحراش منتشرة في الوجه القبلي وكانت الحيوانات الكبيرة الحجم كالزراف والضباع وأفراس البحر مألوفة لدى المصريين وسنتكلم بايجاز عن كل حضارة على حدة .

الحضارة التاسية : (١)

هي أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث في الصعيد، وتنسب حضارة تاسا الى ديرتاسا التي تقع إلى شمال البدارى بالقرب من قرية مستجدة ، وفيها كان الموتى يدفنون في مقابر بعيدة عن المساكن ومنها مقابر وجدت مختلطة بمقابر البداريين الذين سنعرفهم فيما بعد ولذا يمكن أن يقال بأن التاسيين أقرباء أو أسلاف البداريين ويفضل بعض الأثريين أن يلحقوا هذه الحضارة بالحضارة البدارية ويعتبرونها جزءا منها ، ومهما كان الأمر فقد أستدل من الآثار المكتشفة على أن التاسيين زرعوا الحبوب ولكنهم لم يعيشوا معيشة أستقرار تامة إذ أن مقابرهم قليلة شديدة التفرق وكثيرا ما تكون

---

(١) يرى أولئك الذين يجعلون الحضارات التالية للسبيليه وتسبق عصر الأسرات أن الحضارة التاسيه من صميم حضارة البدارى — أنظر .

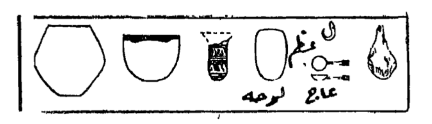
E. Baumgartel, op .cit.,2o ff

مختلطة بمقابر البداريين كما أسلفنا وكانوا يمارسون الصيد إلى جانب الزراعة البدائية وقد عرفوا النسيج واتخذوا الحلى من أصداف البحر المثقوبة والخرز الأسطوانى المصنوع من العظم أو العاج تحلية خطوط متقاطعة وأستعملوا الأســـاور ، ومن آثارهم التى عثر عليهـا : صلايات من المرمر والحجر الجيرى والأردواز لصحن الدهنج والمغرة كما عثر فيها أيضـاً على مراحى وبعض الحبوب وعـدد من السنانير (الشص) وطبق من الخوص ودبابيس وإبر من العظام كذلك استعمل التاسيون الوسائد اذ وجد تحت رؤوس عدد من الموتى بعض التبن أو القش كان لاريب داخل كيس « جلد أو كتان » ولـكنه فنى مع الزمن ـ ويرجح أن الأشجار الـكبيرة والمستنقعات كانت منتشرة فى ذلك العهد اذ وجدت فؤوس من أحجار مختلفة ـ لا ريب فى أنها استخدمت من أجلها ـ أما فخار ديرتاسا فيمكن تقسيمه إلى نوعين .

اولا : بنى ذو سطح خشن عادة وإن كان ناعما أملس (لدرجـة كـبيرة فى بعض الأحيان) وهو خال من التموجات إلا فى بعض القدور النادرة التى نجد بها تموجات مائلة أو عمودية .

ثانيا : أسود رمادى أملس عادة ذو تموجات عمودية والبعض القليل مصقول هذا وقد عثر على أوانى ذات شفة سوداء مثل فخـار البدارى ونقـادة ، ومن هـــذه أقداح ذات شفة مقـلوبة عـلى شكل البوق . وهى سوداء مصقولة تحلى سطحـها الخارجى وشفاهها من الداخل خطوط محفورة مليئة بعجينة بيضاء تمثل خطوطا أفقية بينها مثلثات مخططة لتثبيت المادة البيضاء فيها .

وفخار هذه الحضارة خلو من علامة الصانع أو صاحب الآناء . وربما كان أصل الأوانى ذات الشفة السوداء نوبياً ، هذا وقد وجد قدح من الاقداح التى على شكل البوق فى غرب أوربا مما يوحى بأن أقداح غرب أوربا مأخوذة عنها ، ومن بين ما عثر عليه من أدوات فخارية بعض المغارف غير العميقة لها لسان مسطح بارز من الحافة بمثابة مقبض (شكل ٩) .



شكل ٩ — أدوات وأوانى فخاريه من تاسا

وكانت مقابر التوم عبارة عن حفر كبيرة بيضاوية فى الغالب والقليل منها ذو جوانب مستقيمة بزوايا مستديرة وفى جانبها الغربى دخلة (طاقه) تتسع لآنية ، وكان الميت يدفن فى وضع منرفص أشبه بالجنين ورأسه إلى الجنوب ووجهة إلى الغرب ، ويوضع معه بعض الفخار إلى جانب يديه أو ركبتيه وجثته تغطى بجلد حيوان بحيث يكون الشعر أو الصوف إلى الداخل ، يلف بعد ذلك فى حصير وتوضع الرأس فوق ما يشبه الوسادة من القش ويحيط بالميت تقفيصه من الأغصان ورؤوسهم مستطيلة على العموم إلا أن بعض الجماجم أعرض من جماجم أهل البدارى ووجوههم أعرض ولذا يمكن إعتبارهم أسلاف سكان مصر فيما قبل الأسرات ويمكن

أن نرجعهم إلى نفس جنس الهدندوة الحاليين أى أنهم كانوا من الحاميين .

البدارى

كشف Brunton عن آثار هـذه الحضارة وقـد أستدل منها على أنها تمثل عهدا قائما بذاته اذ بدىء باستخدام النحاس فيها ولذا يرى وضعها فى أوائل عصر ما قبل الأسرات [١] وحددت لهـا الفـترة ٢١ - ٢٩ من من التاريخ التتابعى أى أنها على هذا الأساس تقع فيما بين حضارتى ديرتاسا والعمرة قد وجدت آثار مشابهة لهـا فى الهمامية وبالقرب من مستجدة وفى البدارى نفسها ، فهـذه الحضـاره إذا مركزة فى منطقة البدارى وماحولها وإن كان البعض يرى أنهـا وجـــدت فى وادى Grassy فى جنوب الصحراء الليبية ، كما يدعى DeBono أن آثارا مماثلة لآثارها وجدت فى اللقيطة بوادى حمامات [٢] وقد وجدت بالخرطوم آثار يعتقد Arkell أنها معاصرة للبـدارى كما أنه وجد آثارا أخرى فى

---

(١) يرجح أنصار الرأى الذى يعتبر الحضارات السابقه للأسرات وتلى السبيليه كلها تدخل فى عصر ماقبل الأسرات أن حضارة البدارى أقدم حضارات ماقبل الأسرات فى مصر .

E. Baumgartef, op. cit, 20 ff

(٢) لايمكن تأكيد أى من هذين الافتراضين ومع هذا أنظر :

W.B,K. Shaw, "Two Burials from the South Libyan Desert", in Journal of Egyptian Archaelogy 22, 48-50.

De Bono, " Expedition Archéologique royale, au desert oriental (Keft - Kosseir), in Annales du Service des Antiquités del' Egypte. 51,59 - 91

الشهناب (على الضفة الغربية للنيل وتبعد نحو ٣٠ ميل شمـــال (أم درمان) يظن أنها سلف لها [١] ولكن آراءه فى هذا السبيل لا يمكن الأخذ بهـــا لأنه بنى آراءه على تشابه غير كاف بين آثار الخرطوم وآثار البدارى وعلى تقدير غير عادل لتأريخ كربون ١٤ لـكل من حضارتى الشهناب والفيوم ا وعلى اعتبار أن هـــذه الأخيرة تسبق حضارة البدارى فى الزمن مع أنها فى الواقع متأخرة عنها [٢] .

وآثار البدارى على العموم تدل على أن البداريين قد وصلوا إلى مرحلة استقرار تام فى القرى وأنهم استأنسوا الماشية وأنواعاً من الأغنام والماعز يرجح أن موطنها الأصلى كان فى غربى آسيـا ـ أى أن البداريين كانوا أرقى من أى جمـــاعة عاشت فى العصر الحجرى الحـديث إذ استقروا فى قرى منتظمة يزرعون الحبوب ويستأنسون الحيوان فضلا عن صيـــد البر والبحر وكانوا مهرة فى كل صناعات العصر الحجرى الحـديث ومع أن بعض حيواناتهم يظن أنها تنتمى إلى غربى أسيا إلا أن Miss Caton Thompson ترجح أنهم وفدوا إلى مصر عن طريق منطقة تبعـد كثيرا إلى الجنوب ، على الأقل عنـد خط ٢٥° شمالا أى بالقرب من أدفو .

وقد أستعمل البداريون طريقة التشظية بالضغط فى صناعة آلاتهم

---

(١) A. J. Arkell, "Early Khartoum,, (Oxford 1949), spp. 73, 119- 112: " Shaheinab " (Oxford 1953), 102 ff.

(٢) أنظر فيما بعد حضارة الفيوم ص ٤٣

الحجرية والسهام وأمتازوا عن أسلافهم بمعرفة النحاس فاستعاضوا بالفأس النحاسية عن الفـــأس الحجرية التى سادت فى الحضارات السابقة أى أنهم كانوا أرقى من سابقيهم وأحدث منهم حضارة ويبدو أنهم استخـدموا السهـام والقسى وعصى الرماية Boomerang ودبابيس القتال ذات الرؤس التى على شكل القرص كما عرفوا السنانير وتفوقوا فى صناعة اللوحات الأردوازية وبعض لوحات من المرمر ، وقد عثر بين أثارهم على ثلاثة تماثيل صغيرة لسيدات أحدها من الطين والآخر من الطين المحروق والثالث من العاج وليست هذه التماثيل دقيقة الصنع وبعض أجزائها مفقود ـ كذلك أتخذ البداريون حليا من أحجار مختلفة ومن الأصداف والنحاس كان أهمها الخرز والأساور والأحزمة والأمشاط الطويلة الأسنان من العـــاج، ومن المرجح أنهم عرفوا صناعة السلال والحصر حيث عثر على أجزاء منها فى مقابرهم كما يبـدو أنهم كانوا على دراية بنسيج الكتـان لأن بعضا من الأبر المصنوعة من العظام وجـدت بين أثارهم ومن بينهـا مجموعة وجدت فى جعبة صغيرة صنعت من ساق فرس النهر ـ ولم يقتصر البداريون فى صناعة أوانيهم على الفخار بل كانت لديهم أوانى عاجيـة ـ منها أناء على شكل فرس النهر ـ وأوانى حجرية من البازلت أيضا .

ونخار البـدارى أرقى من نخار الحضارات السابقة إن لم يكن أرقى أنواع الفخار فى مصر القـــديمة على الأطلاق ـ وهو يمتاز بما يحلى جدرانه من تموجات rippling تشغل السطح الخارجى بأكمله

أو نصفه الأعلى أو تكون شريطا يحيط بحافة الأناء، كذلك قد توجد هذه التموجات بالسطوح الداخلية لبعض الاوانى الواسعة (طواجن وصحاف)، ومع أنه مصنوع باليد - إذ لم تعرف عجلة الفخار بعد - إلا أنه يمتاز برقة الجدران وهو على سبعة أنواع :-

١ - مصقول بنى ذو حافة سوداء Brown Black Topped Ware

٢- مصقول أحمر ذو حافة سوداء Polished Red Black Topped Ware

٣ - مصقول أحمر فقط Polished Red Ware

٤ - أملس بنى Smooth Brown Ware

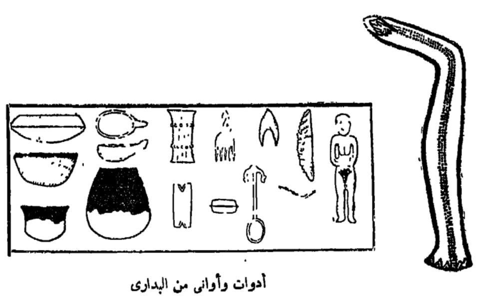
٥ - خشن بنى Rough Brown ware

٦ - أسود بأكمله All black ware

٧ - متنوع Miscellaneous ware

أى أنه إما «ا» مصقول بنى أو أحمر (ويكون غالبا ذو حافة سوداء) أو « ب » أملس أو « ج » خشن وهذين الأخيرين يكون لونها بنياً فى الغالب أو أسود اللون مصقولا أو أملس - وفخار البدارى عادة عبارة عن طواجن عميقة أو غير عميقة أى أن أشكاله متشابهة ومحدودة وذلك باستثناء عدد قليل من الأوانى ذات الاشكال الخيالية كانت تغطى احيانا بقطع من الحوص المضفور وقد عثر على قدح ملفوف بقماش الكتان ، وفخار البدارى على العموم خلو من علامة الصانع او المالك وكان يوضع غالبا عند رأس الميت

أو قرب يديه أو مرفقية أو عند ركبتيه وفى أحيان نادرة كان يوضع خلف الميت (شكل ١٠) .



أدوات وأوانى من البدارى

عصر رمايه

(شكل ١٠)

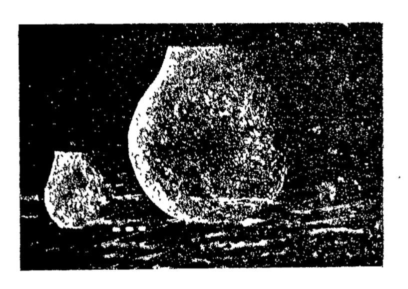
ومقابر البدارى فى شرق منطقة المساكن فى جهة يسهل حفرها بالآلات البسيطة ـ وهى غالبا بيضاوية الشكل أو مستديرة ونادرا ما تكون جوانبها مستقيمة وأركانها مستديرة وكانت تغطى بالحصير كما استعملت العصى فى تسقيفها أحيانا ، وكان الميت احيانا يوضع على ما يشبه الأريكة (او تقفيصه) وكان الحصير الذى يحيط بالجثة يعتمد على عصى على شكل خيمة تحمى الميت من انهيار الحصى والرمال عليه ـ ويدفن الميت عادة على جانبه الأيسر ورأسه إلى الجنوب وهو متجه إلى الغرب ويداه بالقرب من رأسه وتوضع إلى جانبه الأدوات اللازمة له فى حياته الدنيا وأدوات زينته وبعض

التمائم - وقد عنى بدفن الثور والكلب والشاة وغيرها مما يدل على تقديس تلك الحيوانات والاعتقاد بوجود حياة أخرى وبالبعث حيث وضعت في المقابر قرابين وأدوات من التي استعملها الميت أثناء حياته الدنيا كما يرجح أنهم اعتقدوا بتردد الروح على المقبرة .

حضارات الوجه البحرى

العمرى « حلوان ١ »

تقع في مدخل وادى حوف شمال حلوان وترجع تسميتها إلى أمين العمرى الذى دل عليهـا بوفييرلابيير B. Lapièrre ، ويعتقد يونكر أن الحضارة التى وجدت آثارها بها متأخرة عن حضارة مرمدة إذ أنه يرجع حضارة مرمدة إلى أواخر الحضارة السبيلية - وقد كشف في هذه الحضارة عن مساكن مستديرة في وسط كل منها موقد - أما المقابر فكانت مستقلة عن المساكن فهى في ذلك تشبه حضارتى الفيوم وديرتاسا - وتختلف عنها مرمده - ويؤدى إلى المقابر طريق خاص وكان الميت يوضع في وضع الجنين وإلى جانبه توضع القرابين ، وهى قليلة لا تعدو أناء من الفخار عبارة عن قدر أو طاجن يشبه أوانى مرمدة وهى سوداء من لون واحد (شكل ١١) وتتميز مقابر هذه الحضارة بما فوقها من أحجار وهـذه الظاهرة لا تشبهها فيهـا حضارة أخرى - هذا وقد عثر على فخار أسود شبيه بفخار العمرى في طرة وقرب الاهرام مما يوحى بأنه انتشر في الدلتا ، إلا أن مدى أنتشاره ليس واضحاً .



شكل ١١ — أوانى من العمرى

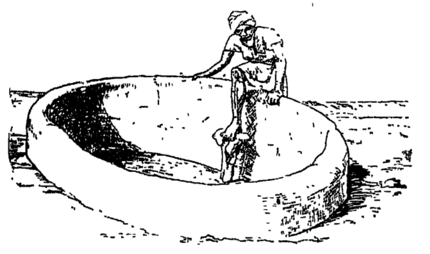
وقد عاود دى بونو DeBono الحفر فى العمرى سنة ١٩٤٣ وقد أستنتج مما وجده فى منطقة قريبة من تلك التى حفر فيها Lapièrre أنها تماثل حضارة العمرى إلا أن مصطفى بك عامر يرى أن ماوجده دى بونو يمثل حضارة أرقى ويستحسن أن يطلق عليها حضارة حلوان ب وسنتكلم عنها فيما بعد .

مرمدة بنى سلامه

وهى على بعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الغربى من القاهره بالقرب من الخطاطبة غرب الدلتا وقد كشف عنها يونكر ومنجين وشارف وترجع إلى أواخر العصر الحجرى الحديث ، وتتمثل هذه الحضارة أيضا عند الحافة الشمالية للفيوم وخاصة فى منطقة قصر الصاغة وهى المعروفة بحضارة فيوم ب التى يعتبرها مكتشفوها من أواخر الحجرى

الحديث وأوائل ما قبل الأسرات ، ولكن يبدو أنها ترجع إلى عهد أحدث من ذلك كثيرا [١] .

وبدراسة الآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة استدل يونكر من ثقوب وجدت محفورة فى الأرض فى مجموعات غير منتظمة على أن تلك الثقوب كانت موضع أعمدة لأشجار تقام عليهـــا أكواخ من البوص أو ستائر من الحصير تحمى من الرياح الشديدة ، وإلى جانب ذلك كشف يونكر عن مساكن بيضاوية يعلو نصفها سطح الأرض ولكل منها مدخل خاص به قطعة من ساق فرس البحر مثبتة داخل الجدار للهبوط إلى داخل المسكن (شكل ١٢) الذى تنحدر أرضيته



شكل (١٢) منظر لما كان عليه مسكن بيضاوى من مرمدة وطريقة الهبوط اليه

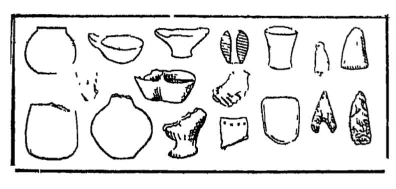
إلى مكان منخفض ثبت به إناء ليتسرب فيه ما يدخل الحجرة من ماء وبأسفل الأناء ثقب لتصريفه فى باطن الأرض ، وكانت الجدران

(١) E. Baumgartel, op. cit., 17f & 43

تبنى من كتل من الطين يوضع بعضها فوق بعض ـ كذلك عثر على أهراء للحبوب وهى حفر قليلة الغور مسورة بسور من الطين وكانت الحبوب توضع فى سلال تطمر فى داخلها ـ ويستدل من الآثار التى عثر عليها على أن أهل مرمدة كانوا يربون الماشية والخنازير ويطحنون الغلال على الرحى واستعملوا فخاراً أسود وقليل منه بنى أحمر ـ وفخار مرمدة إما مصقول أو ناعم أو خشن وهو على شكل قدور كبيرة للطبخ ، ومن الأوانى ماله بروزات لإمساكها بها أو تعليقها ولبعضها ثقوب ولبعضها قواعد ، ومنها ما يشبه القارب ومنها المغارف ذات المقابض العريضة أو السميكة المستديرة وهذا الفخار خلو من النقوش والرسوم وبعضها تحليه خطوط بارزة أو عدد من البروزات عند الحافة ـ وإلى جانب الأوانى الفخارية صنع أهل مرمدة أوانى حجرية من البازلت .

وكانت رؤوس السهام لديهم مثلثة الشكل أو مقوسة القاعدة وبعضها له سنخ ودبابيس قتالهم كمثرية الشكل (طراز البحر الأبيض) أو شبه كرية ـ ويبدو أن أهل مرمدة عرفوا النسيج واتخذوا الملابس إذ وجدت لديهم فلكات مغازل ومسلات وإبر ، وكانوا يستعملون فى الصيد نوعا من الشص المصنوع من قرن الحيوان وهو أكثر استواء من خطاطيف الفيوم — وقد تزينوا بحلى فى هيئة أساور من العاج وخواتم وخرز حلقى أو اسطوانى من الأصداف وبلط صغيرة تعلق على شكل تمائم واستعملوا صلايات من المرمر والبازلت لصحن المساحيق (أنظر شكل ١٣) .

وكان الميت يدفن على جنبه بين المساكن ، مقرفصا في وضع يشبه الجنين ووجهه إلى الشرق ولم توضع معه قرابين فى العادة وربما



شكل ١٣ ــ أدوات وأوانى من مرمدة

كان ذلك لاعتقادهم أنه كان يشارك أهـــله طعامهم ، وفى بعض الحالات وجدت بعض الحبوب ملقاة امام فم الميت ولكن ربما كان ذلك شيئا رمزيا فقط ـ ومعظم الهيا كل العظميه التى عثر عليها كانت لنساء وكن اطول قامة من نساء الصعيد .

ومع ان حضارة مرمدة كانت تشبه فى مظاهر قليلة منها بعض نواحى حضارتى الفيوم والبدارى إلا ان من المرجح أنها قد ورثت هذه المظاهر لأنها فى اغلب الظن لا تسبق اواسط حضارة نقادة الثانيـة كثيرا فى الزمن .

الفيوم

يســـتدل من الآثار التى اكتشفت فيها على وجود مرحلتين حضاريتين . الفيوم «ا» ، الفيوم «ب» ويؤرخها غالبية الأثريين بالعصر

الحجرى الحديث ، وعصر ما قبل الأسرات على التوالى ولكن الفروق بينهما ليست كبيرة إلى درجة توحى بأن الفارق الزمنى بينهما لا يمكن أن يكون كبيراً - وبإعادة النظر فى آثار الفيوم ودراسة الصناعات التى سادت فيها أصبح الاعتقاد سائدا بأنها لا تسبق حضارة نقادة الثانية كثيرا فى الزمن [1] وعلى ذلك يمكن أن ندخـــل حضارتى الفيوم ضمن عصر ما قبل الأسرات ولهذا سنكتفى بدراستهـا بفترتيها كوحدة قائمة بذاتها وخاصة لأنها تأثرت بكل من حضارات مصر العليا والسفلى وإن كان تأثرها بحضارات الدلتا أكثر منه بحضارات الصعيد .

ولم يكشف فى منطقة الفيوم إلا عن منطقة السكن إذ لم يعثر على قبر واحد فيها ، وتدل الآثار المكتشفة على أن الفيوميين عرفوا الزراعة وإن كان جل اعتمادهم على الصيد أى أنهم كانوا فى ظروف تشبه ظروف الزراع البدائيين - وكانت لديهم مجموعتان من المطامير لخزن الحبوب بالقرب من المساكن وقطر معظمها من قدم إلى أربعة أقدام وعمقها من قدم إلى ثلاثة ومعظمها مكسو من الداخل بغشـاء من قش القمح المضفور يكسو جوانب الحفرة وقاعها ، كما عثر على مناجل من الصوان ورحى لطحن الحبوب من أحجار مختلفة ويبدو أن تربية الحيوان لم تلعب دوراً كبيرا فى حياتهم .

وفى هذه المنطقة عثر على رؤس سهام مثلثة ذات قاعدة مستقيمة أو مستديرة أو ذات سنخ (مثل سهام مرمده) ، كما وجـــدت سكاكين من الصوان وهى طويلة مقوسة من طرفها الأعلى وبعضها

(١) Baumgartel, op. cit., 20 ff.

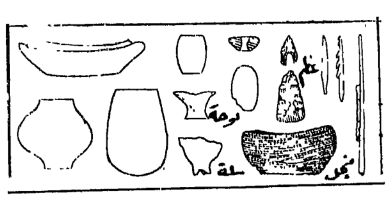
محزز عند القاعدة ـ أما رؤوس دبابيس القتال فنها المخروطى ومنها القرصى والبعض الآخر كرى الشكل تقريبا ولكن هـــذه الأخيرة صغيرة الحجم إلى درجة تدعو إلى الظن بأنها فلكات مغازل ـ ولم يعثر على شص من نوع شص مرمدة ولذا يحتمل أن الأسماك كانت تصاد بخطاف من العظام .

ونخار الفيوم كان يصنع باليد ، من صلصـــال خشن مخلوط بنسبة كبيرة من التبن ولذا كان من النادر إخراجه فى شكل متناسق وهو إما أحمر مصقول أو أسود مصقول أو بنى أملس أو خشن وهذا الأخير هو الشائع ولا يخرج فخار الفيوم عن كونه طواجن وقدور كبيرة للطبخ أو طواجن وأقداح صغيرة ذات قاعدة بارزة للخارج قليلا أو مفصصة ومنه كذلك ماهو فى هيئة صحاف مستطيلة حوافها مرتفعة عند الأركان وبعض أوانى الفخار مثقوبة عند الحافة ـ ونخار الفيوم جميعه خال من الرسوم أو النقش أى أنه يخلو من علامة الصانع أو المالك وقد تميزت آنية واحدة ببروزات قرب حافتها .

ولا شك فى أن أهل الفيوم عرفوا صناعة السلال والنسيج حيث عثر فى آثارهم على بعض سلال على شكل قارب أو على شكل برميل من حشائش مضفورة .

وعلى بعض أطباق مسطحة من الحشائش المضفورة ـ كذلك وجدت قطعة من قماش الكتان داخل قدر من الفخار كما عـثر على دبابيس وخارز من العظام .

أما فيما يختص بأدوات الزينة فقد تحلى القوم بدلايات (خرزة معلقة بخيط) وصنعوا خرزا على شكل القرص أو على شكل برميل كما كانت الأصداف تعلق مفردة أو تنظم فى عقود وكذلك عثر على سوار صغير وتميمة على شكل بلطة صغيرة من الصدف – وكانت لديهم صلايات بسيطة بيضاوية الشكل لصحن المغرة (شكل ١٤).



شكل ١٤ – أدوات وأوانى من الفيوم

وقد عثر على آلات صوانية تشبه آلات الفيوم والبدارى فى الواحات وفى غرب وادى النيل بالواحة الخارجة وجنوب تونس ويظهر أن الفيوم والمناطق الجنوبية من مصر كانت منبعا استمد منه شمال غربى أفريقيا بعض مظاهر حضارته ولو أن بترى يرى أن حضارة البدارى والفيوم جاء بها أقوام من القوقاز وأنهم فرع من أولئك الذين هاجروا إلى أوربا وأسسوا الحضـــارة السولترية إلا أن عدم وجود حضارة سولترية فى آسيا والقوقاز مما يدحض هذا الزعم ، ويرى فريق من العلماء « برنتون وكيتون تومبسون ويونكر » وجود صلة بين الشعب البدارى والفيومى وبين النوبيين ويجعلون كل

هؤلاء شعبة حامية فهم شعبة من المجموعة القفصية تخصصت فى وادى النيل وهذا الرأى أقرب إلى الصواب .

عصر ما قبل الأسرات

إذا ما تجاوزنا عما أشرنا إليه من رأى يدخل كل الحضارات التى تلت الحضارات السبيلية إلى قيام الأسرة الأولى - فى عصر ما قبل الأسرات لوجدنا أن غالبية الأثريين تقصر هذا العصر على الفترة التى تسبق قيام الأسرات مباشرة وتلى ما أطلقوا عليه اسم العصر الحجرى الحديث [1] وقد قسموا هذه الفترة إلى حضارات هى على الترتيب : العمرة وجرزة وسماينة فى الصعيد ، وحلوان ب والمعادى فى الوجه البحرى والفيوم ب - التى سبق أن تناولناها مع الفيوم ا كوحدة قائمة بذاتها وإن كنا قد ألحقناها بحضارات الوجه البحرى فى العصر الحجرى الحديث - ومما يبرر وجهة نظر هؤلاء الأثريين أن مصر كانت فى العصور الحجرية فى مستوى حضارى يكاد يعادل المستوى الحضارى الذى كانت عليه أكثرية بلدان العالم ولكنها أخذت تتفوق بعد ذلك مما مهد لقيام الحضارات العظيمة فى عهود الأسرات ولذا كان ينبغى أن توضع مصر فى الفترة السابقة لعهد الأسرات فى مرحلة حضارية خاصة يطلق عليها « عصر ما قبل الاسرات»

---

(١) أنظر أعلاه ص ٢٨

وفى هذه الفترة ترقى صناعة الفخار وتتاصل المعتقدات الدينية ويكثر استعمال المعادن وتظهر الرسوم التى تتطور حتى تصبح الكتابة فيما بعد، وفى هذا العصر أيضا قامت الحدود السياسية بين الدلتا والصعيد وسار كل من شطرى الوادى فى تياره الحضارى تبعا لاختلاف ظروف البيئة وحاول كل من الشطرين الاستيلاء على الآخر إلى أن تم الاتحاد النهائى على يد مينا مؤسس الأسرة الأولى .

التوقيت المتتابع او التاريخ التتابعى :

وجد بترى وكوبيل ـ فيما بين بلاص ونقـــادة ـ منطقة غنية بالآثار التى ترجع إلى الفترة السابقة للأسرات فأطلق عليهـا بترى إسم حضارة نقادة ، ولما شاهد أن هذه الآثار تختلف فيما بينها بحيث يبدو أنها لا تنتمى إلى فترة قصيرة محدودة رتب الأوانى الفخارية والآثار التى عثر عليها حسب تدرج التطـور فى صناعـة الفخار وبذلك أمكنه ترتيب الآثار على حسب ظهورها محاولا إيجاد علاقة تاريخية بينها فقسم الأوانى الفخارية إلى أنواع يمثل كل منها مرحلة حضارية خاصة عاشت فى مرحلة زمنية ورمز لعصر ما قبل الأسرات بأرقام تشمل الأعداد من ١ إلى ١٠٠ وبدأ أقـدام انواع الفخار والآثار التى اكتشفها معه بالرقم ٣٠ تاركا من ١ إلى ٣٠ خاليا لما عساه يجد من الاكتشافات ، كما ترك ايضا الأعداد من ٨٠ إلى ١٠٠ لنفس الغرض ـ وقد أعد بترى بطاقة خاصة لـكل مقبرة وقسم كل بطاقة إلى تسعة أنهر خصص كلا منها لنوع معين من الفخار

الذى وجده وهو على تسعة أنواع :

(١) ذو شفة سوداء (٢) أحمر مصقول (٣) ذو أشكال خيالية
(٤) محلى بخطوط متقاطعة (٥) أسود محلى برسوم محفورة
(٦) ذو مقابض متموجة (٧) مزخرف باللون Decorated
(٨) خشن (٩) متأخر .

وحينما أدرج الآثار التى اكتشفها مع الفخار المصاحب فى الأقسام الخاصة بها أمكنه أن يقسم تلك الآثار (مستعينا بالفخار) إلى ثلاثة أقسام تمثل كل منهـــا مرتبة حضارية تبدأ الأولى بالرقم ٣٠ وتنتهى بالمرحلة ٣٧ والثانية من ٣٨ إلى ٦٠ والثالثة من ٦١ إلى ٧٥ +

وقد كشف الأثريون عن ثلاثة حضارات بالصعيد تماثل آثارها تلك التى وجدها بترى أى أنها تتفق والأقسام التى اختارها فالأولى وهى حضارة العمرة تمثل المرحلة من ٣٠ إلى ٣٧ والثانية وهى جرزة تمثل المرحلة من ٣٨ إلى ٦٠ أما الثالثة وهى سماينه ـ فتمثل المرحلة من ٦١ إلى ٧٥ +

وقد أطلق على هذه السلسلة اسم تاريخ بترى التتابعى ، ويجب أن لا يفهم منه أن الأرقام أو الفترات التى اتبعها بترى تدل على تاريخ محدد أو أن المدة بين فترة وأخرى تعادل فى الزمن المدة بين فترتين أخريين كما لا يدل الرقم الواحد على قدر ثابت من السنين وكل

ما فى الأمر أن هذا التقسيم يسمح بترتيب كل من هذه الحضارات بالنسبة لبعضها البعض وكان بترى فى أول الأمر قد قسم الآثار المكتشفة فى نقادة إلى عهدين أطلق عليهما اسم حضارة / ١ ، حضارة / ٢ ولكن Scharff أطلق عليهما نقادة / ١ ونقـــادة / ٢ ثم رأى بترى أن الحضارة الثانية تمثل عهدين مختلفين متميزين أى أن حضارة نقادة تمثل فى مجموعها ثلاثة حضارات ميزها Petrie فيما بعـــد بأسماء الحضارات المشابهة لها أى العمرة وجرزة وسمابنه فحضارة العمرة تمثل حضارة نقادة / ١ أى الفترة الأولى من حضارة نقادة وتمثل حضارتى جرزة وسماينة حضارتى نقادة / ٢ أى أن الفترة الثانية من حضارة نقادة بدورها تنقسم إلى عهدين . حضارة نقادة / ٢ ا ، حضارة نقادة / ٢ب وهما تقابلان جرزة وسماينة على الترتيب .

حضارات الصعيد

حضارة العمر ٣٠ ـ ٣٧

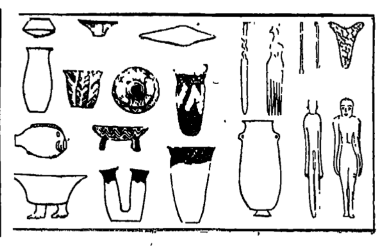
تقع العمرة جنوب شرقى أبيدوس وقد عثر فيها على آثار تشبه أقدم ما وجد فى نقادة إلا أن هذه الحضارة تمثل عهدين مختلفين . أوائل العمرة ٣٠ ـ ٣٤ وأواخر العمرة ٣٤ ـ ٣٧ وإن كان البعض يميل إلى أن مقابر الفترة ٣٠ تؤلف وحدة قائمة بذاتهـا إذ أنها حفر غير عميقة بهـا اناء واحد من الفخـار الأحمر ذو الشفة السوداء وفى

احوال نادرة كانت توجد إلى جوار الميت صلاية من الاردواز معينة الشكل كما عثر على دبوس من النحاس فى إحدى المقابر .

وقد ظهر الفخــار الأحمر المصقول المحلى برسوم باللون الأبيض أو الأصفر فى الفترة ٣١ – ٣٤ وهذه الرسوم عبــارة عن أشــكال تحددها خطوط مستقيمة وتملؤها خطوط متقاطعة ، وتمثل فى مجموعها أشكالا هندسية مختلفة كالمثلث والمعين والنجوم أو تمثل أشكالا مختلفة من النبات والحيوان ومناظر الصيد والقتال رسمت باختصار وفى أسلوب بسيط ، وإلى جانب هذا النوع من الفخار عثر على فخار أحمر مصقول أو أحمر مصقول ذو شفة سوداء خلت سطوحه الخارجية من التموجات التى تميز فخــار البدارى ـ كذلك بدأت علامة الصانع أو علامة الملكية تميز أوانى هذه الفترة فى صورة حيوانات أو نباتات أو خطوط وقد وجدت بعض الأوانى الحجرية من البازلت والحجر الجيرى وكانت الصلايات من الأردواز على شكل معين أو تمثــــل حيوانات مختلفة كفرس النهر والسلحفاة وكانت رؤوس الدبابيس مخروطية الشكل مقوسة قليلا إلى الداخل .

أما فى الفترة الثانية من هذه الحضارة ٣٤ ـ ٣٧ فقد اختفى الفخار المحلى برسوم باللون الأبيض واستمر الأحمر المصقول والأحمر المصقول ذو الشفة السوداء كما عثر على أوانى محلاة برسوم باللون الأحمر تشبه فخار جرزة ابتــداء من الرقم ٣٦ ، ومن بين العلامات المميزة لفخار تلك الفترة علامة تمثل تاج الوجه البحرى وعلامة تمثل صورة حورس

على واجهة القصر (الخانة التى يكتب فيها اسم الملك) ومن هـــذا يتضح أن علامات الملك أخذت تستقر ـ وقد تطورت صناعة الأوانى الحجرية التى من البـــازلت كثيرا كما أصبحت أشكال الصلايات أقل تعددا إذ انحصرت تلك الأشكال فى الشكل المعين الذى ينتهى عند أحد طرفيه بما يشبه الهلال أو شكل السمكة ومن الصلايات أيضا ما كانت تنتهى فى أعلاها برأس طائرتين ـ أما دبابيس القتال فكانت تشبه نظائرها فى الفترة الأولى لهـــذه الحضارة ـ وقد أتقنت صناعة الظران ومن الأدوات المصنوعة منـه وجـدت سكاكين طويلة ذات حدين وسهام ذات شوكتين (شكل ١٥) .



(شكل ١٥) أدوات وأوانى من العمرة

ولم يكشف حتى الآن عن حضارة من هذا العهد فى الدلتا ، وقد اعتقد أهل هذه الحضارة فى الحياة بعد الموت بدليل ما عثر عليه من أدوات وضعت إلى جوار الموتى .

حضارة جرزة ٣٨ - ٦٠ (**نقادة ٢ « ١ »**)

تقع جرزة شمال ميدوم وآثارها تمثل حضارة مستقلة تماما عن حضارة العمرة إذ وجدت (فى همامية قرب البدارى) آثار عهدها فى طبقات منفصلة تماما عن الطبقات التى وجدت بها آثار حضارة العمرة وهى أوسع منها انتشارا فى مصر الوسطى ، وقد قسمها بترى إلى قسمين :

الأول بداية عهد جرزة من ٣٨ - ٤٤ ، الثانى أواخر جرزة من ٤٥ - ٦٠ واهم أنواع الفخار التى تميز هذه الحضارة هو ذلك الفخار المحلى بالرسوم الحمراء وهو غير مصقول وذو لون برتقالى أصفر ، عليه رسوم وأشكال باللون الأحمر ، وتتميز رسومه عن الفخار المرسوم باللون الأبيض (عهد العمرة) بكونها من خطوط منحنية أهمها الخط الحلزونى وبكونها بأكملها ملونة باللون الأحمر ولا تملأ أشكالها خطوط متقاطعة كالفخار المرسوم باللون الأبيض كما أخذت صور المراكب والحيوانات المنفردة تظهر فيه - وتتميز هذه الحضارة كذلك بالفخار ذو الأيدى المتموجة وكل من هذين النوعين من الفخار على صلة بالآخر إذ قد يحلى ذو الأيدى المتموجة برسوم حمراء - هذا وقد استمر الفخار الأحمر المصقول وذو الشفة السوداء (وهما من فخار العمرة) فى هذه الحضارة أيضا - وكان جل اعتماد بترى فى ترتيب أنواع الفخار فى نقادة على الفخار ذى الأيدى المتموجة ،

هو والفخار المحلى برسوم حمراء كلاهما من طينة أكثر صلابة من طينة فخار الأنواع السابقة وقد ظهرت صور المراكب على الفخار المحلى برسوم حمراء منذ الفترة ٤٥ – ومنذ الفترة ٤٦ ظهرت صور المثلثات المتتالية (وهى إما أن تمثل مرتفعات أو أنها مجرد حلية) وبعد الفترة ٦٠ أخذت هذه الرسوم تقل إلى أن اختفت حوالى فترة ٦٣ ، وكان لمعظم الأوانى مقابض متموجة أو عراوى (آذان) لتعليقها وفى بدء هذه الحضارة بدأ ظهور الفخار المتأخر ويمتاز بصلابته وملاسته وهو رمادى فاتح أو بنى أحمر أو أصفر يخلو من أية حلية إلا أنه لم ينتشر تماما إلا فى أواخر عهد ما قبل الأسرات وفى الأسرتين ١ ، ٢ .

وقد امتازت هذه الحضارة بكثرة الأوانى الحجرية المختلفة ذات الألوان الجميلة وكانت بعض أوانى الفخار تصنع على غرارها وقد أخذ دبوس القتال الذى كان شائعا فى العمرة (ذو الرأس المخروطى المضغوطة الجوانب) يقل تدريجيا ابتداء من عهد جرزة حيث أخذ الدبوس ذو الرأس الكمثرى يحل محله – ومع هذا فقد بطل استعمال هذين النوعين من الدبابيس فى القتال فى الأسرة الأولى وإن ظلا يستعملان فى العصور التاريخية لأغراض دينية وجنائزية .

كذلك أخذت الصلايات التى على شكل معين فى الاختفاء وتأخذ مكانها صلايات ذات أشكال هندسية أخرى كالمستطيل والبيضاوى والمربع واستمرت بعض الصلايات فى شكل بعض الحيوانات كالفيل

والسمك والطيور وبعض الصلايات البيضاوية كانت تعلوها طائرين أيضا ـ وقد أخذت الصلايات تدق فى سمكهـــا وكسيت سطوحها بالنقوش وصنع بعضها من مواد لا تصلح للصحن منذ أواخر ما قبل الأسرات حتى يمكن القول بأنها أصبحت شيئا رمزيا يوضع فى المقبرة فهى تذكر بتقليد قديم متوارث ـ هذا وقد ظهرت فى عهد جرزة بعض التمائم على شكل حورس وبعضها على شكل رأس ثور وهى رموز تدل على مقاطعات بالوجه البحرى (شكل ١٦) مما دعا إلى



الظن بأن حضارة جرزة ترجع أصلا إلى الوجه البحرى وان لم يعثر على حضارة تماثلها فيه كما يستدل من ذلك أيضا على حدوث توحيد لشطرى الوادى قبل عهد مينا مؤسس الأسرة الأولى .

حضارة سمابنة ٦٠ –٧٥+ ٠ (نقادة « ب »)

تمثل آخر الحضارات المصرية فى عهد ما قبل الأســـرات وأهم الآثار التى تمثلها وجدت فى سمابنة وهى إحدى قرى مركز دشنا وتقع قرب الأبعادية فى مركز نجع حمادى .

وتتميز هذه الحضارة بزيادة استخدام النحاس وأخذ الفخار ذو الشفة السوداء والفخـــار الأحمر المصقول يقلان حتى اختفيا أما الفخار ذو الرسوم الحمـــراء فقد اختفت الأشكال التى كانت سائدة فى عهد جرزة منذ الفترة ٦٣ وحلت محلها أشكال جديدة عليها رسوم مختلفة ومن هذه الأشكال أوانى على شكل البرميل لها حافة داخلية يستقر عليها الغطاء ، وقدور عالية رسمت عليها خطوط قصـــيرة فى أشكال ومجموعات مختلفة ، أما الأوانى المتموجة الأيدى فقد أخذت تضيق فى السعة ويتلاشى مقبضها حتى أصبح كشريط على حافة الاناء بالقرب من الشفة وأكثر فخار هذه الحضارة من النوع المتأخر وقد ظهر فيه المصب (البزبوز) وله أحيانا رقبة واضحة وأهم ما صنع منه أوانى التخزين (قدور عالية ذات فوهات واسعة) - ومع كل فان الفخار فى عهد سمابنة على اختلاف أنواعه كان أقل اتقانا وجودة منه فى العصور السابقة ومن المحتمل أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الأغنياء أقبلوا على صناعة الأوانى من النحاس والأحجـــار وإلى أن استقرار الحياة فى المدن واتساعها وانتشارها قد جعل الصانع يتوخى

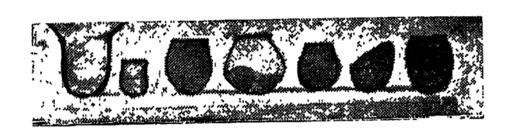
سرعة الإنتاج وكثرته فبعد عن الاتقان ، واستمرت صناعة الاوانى من الاحجار وكثيرا استخدام المرمر Alabaster فى صنعها حيث انتشر استخدامه فى العصور التاريخية . أما الصلايات فنها ما كان على شكل الحيوان ومنها ما كان يحلى جزءه العلوى رأسا طائرين ومنها ما كان بيضى الشكل تحلى حافته خطوط متقاطعة ومنها ما كان على شكل مستطيل تحلى حوافيه خطوط مستقيمة أو متقاطعة وبعض هذه الصلايات كان فاخرا تحليه نقوش مختلفة .

حضارات الوجه البحرى فى عهد ما قبل الأسرات

حضارة حلوان « ب »

تضم منطقة العمرى مجموعتين من المقابر ومجموعة من المساكن وهى على بعد ٣ كم شمال شرق حلوان - وقد بدأ الحفر فيها بوفيه لا بيير بمنطقة المقابر فلما حفر دى بونو فيها ركز جهوده فى منطقة المساكن سنة ١٩٤٥ ، وقد دلت حفائره على أن مساحة القرية كانت كبيرة مثل مدن الدلتا التى عثر عليها فى مرمدة والمعادى بعكس مدن الصعيد المحدودة المساحة وكانت مساكنها إما أن تبنى بحيث يكون جزء منها تحت مستوى سطح الأرض وكل منها بيضاوى الشكل تحيطه جدران من الحصير المغطى بالطين . أو أن تقوم بأكلها فوق سطح الأرض كما يستدل على ذلك من وجود بقايا أعمدة خشبية مغروسة فوق سطح الارض - وربما كان النوع الأول من المساكن يستخدم كمخازن أما النوع

الثانى فكان للسكنى ، وقد حفرت بعض مساكن النوع الأول فى الأرض الصخرية مما دعا إلى الظن بأن أهل حلوان عرفوا استغلال المحاجر فى ذلك الوقت إلا أن هذا بعيد الاحتمال . وكانت الاوانى الفخارية إما رقيقة الجدران مصقولة حمراء وسوداء وسمراء أو خشنة ذات جدران سميكة وكان لبعضها مقابض ومنها ما يشبه أوانى مرمدة ومنها ما يشبه أوانى المعادى كما وجدت أشكال جديدة اختصت بهـا هذه الحضارة (شكل ١٧) .



شكل ١٧ — أوانى من حلوان ب

أما الاسهم التى عثر عليها فى حلوان فانهـا كانت إمـا مقعرة القاعدة كأسهم الفيوم أو على شكل مثلث متساوى الضلعين كذلك عثر فى حلوان على بعض السكاكين والمناجل والمناشير من الصوان وعلى أحجار للرحى وعلى أوعية من قشر بيض النعام وصولجان من الخشب كما عثر على آلات من العظام ومن بينها شص من قرن حيوان — وعثر على جلود وحصير وحبال وأسبتة مما يدل على معرفة النساجة وقد استخدم اهل حلوان أصداف البحر وعظام السمك وأنواع من الأحجار البراقة فى الحلى وعرفوا صناعة العقود والدلايات وزرعوا

الحبوب كالقمح والشعير وكانوا على علاقات مع الخارج حيث وجدت فى آثارهم أصداف من البحر وبعض المواد الأخرى التى لا توجد فى وادى النيل .

وقد دفن الموتى فى أماكن السكنى فى وضع مقرفص ومعظم رؤوسهم إلى الجنوب والوجه متجه إلى الغرب ، وفى أغلب الأحيان كانت توضع آنية فخارية بجانب الميت ، كما كانت الجثة تكفن بجلد حيوان أو حصير أو قماش وقد عثر على صولجان الخشب المشار إليه فيما سبق مع إحدى الجثث .

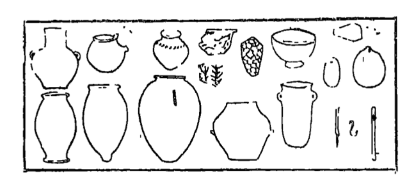
وربما كانت هذه الحضارة تتوسط فى الزمن بين حضارتى مرمدة والمعادى إذ أنها تشبه حضارة مرمدة فى الطقوس الجنائزية وفى بعض الأوانى الفخارية وبعض الصناعة الحجرية كما تشبه حضارة المعادى فى بعض الأوانى الفخارية وفى النصال الصوانية .

حضارة المعادى

شرق المعادى الحالية وهى ذات موقع فريد إذ أنها تتوسط بين الصعيد والدلتا وتربطهما بشبه جزيرة سينا وغرب آسيا مما أثر فى حضارتها وجعلها ذات صفات خاصة تميزها عن الحضارات السابقة وكان يظن أنها أقدم من حضارة نقادة الثانية ولكن ما زالت تحتاج إلى كثير من الدراسة وخاصة لأن الشك بدأ يساورنا فى أنها ترجع إلى عصر بداية الأسرات(١) .

(١) Cambridg Ancient History (2nd. ed.) Vol.I, chapt. x (MSS).

ونخار المعادى (شكل ١٨) متعدد الأشكال والألوان إلا أن



شكل ١٨ ــ أدوات وأوانى من المعادى

أهمه نوعان أحمر اللون غير مصقول ولكنه أملس قاعدته حلقية وجسمه بيضاوى مستطيل وأسود مصقول ذو جسم كرى ــ ومن بين الأوانى التى عثر عليها آنية كبيرة إسطوانية وبحافتها العليا مقابض عــدة كما وجدت بعض الأوانى التى يميل لونها إلى البياض وبسطحهــا بروزات كالحبوب أو مزودة بمقابض وهذه الأوانى تشبه الأوانى السورية كذلك وجدت أيضا بعض الاوانى التى تشبه أوانى العمــرة (ذات حافة سوداء) وأوانى (توأميــة) تشبه أوانى مرمــدة أما الأوانى المزدانة بالرسوم فقد أصبحت قليلة ـ ومن هذا نتبين صلة المعادى بكل من حضارتى سوريا والصعيد فضلا عن حضارة مرمدة ويرجع هذا إلى مركزها الجغرافى حيث يسهل الاتصال بينها وبين تلك الجهات .

وقد عثر على مخبأ به سبع أوانى من حجر البازلت الأسود وإناء من المرمر وإناء عجيب الشكل من الحجر الجيرى كسى من الداخل والخارج بمادة حمراء وعلى خرز من العقيق ـ وفى أماكن أخرى

وجدت عدة أوانى حجرية كبيرة وهى متقنة الصنع كما عثر عـــلى لوحات من الإردواز على شكل معين ولوحات من الحجر الجـيرى وبعض فلـكات المغازل والدبابيس والمصاحن وعلى الكثير من المـكاشط ورؤوس السهام والحراب والمناشير الصوانيـــة وبعض الآلات من الصخر البلورى والـكوارتز والجرانيت ، وبعض هذه المـكاشط تشبه سكاكين نقادة وقد وجدت مجموعة من الأدوات الخشبية مثل عصى الرماية Boomerang وعصا قصيرة وبعض المثاقب والأطباق والأجفان والملاعق من الخشب التى يندر وجود مثلها فى الحضـارات المصرية المعاصرة كذلك وجـــدت آلات كثيرة من العظام وخاصة المثاقب أما فيما يختص بأدوات الزينة فإن أهل المعادى عرفوا صناعة الخرز من الأحجار المختلفة ، وقد عثر على عقد كامل من ٥٤ حبة من الخرز كلها بيضاء ما عدا ٨ منها سوداء كما وجدت أصداف مثقوبة وأمشـــاط من عظام الحيوان ومواد التلوين من المغرة والملاخـــيت والمنجنيز الأسود .

وعرف أهل المعادى استغلال المعادن حيث عثر على عـدد من الأدوات المعدنية كسنانير من النحاس ومثاقب وأزاميل ورأسى فأس من النحاس أيضا ، كما عثر على سبائك منه وبعض مقادير من المنجنيز ومن القار (جلب من منطقة البحر الميت) وأخذت النزعة الفنيـة ترتقى كما يستدل على ذلك من وجـــود قطعة من الصلصال

المحروق يظن أنها تمثل رأس جمل [١] . وقطعة أخرى تمثل رأس حيوان غير واضح وعثر على بيضة نعام إزدان سطحها بأشكال هندسية محفورة باتقان وملونة باللون الاسود وكذلك عثر على رأس تمثال صغير من الفخار الأحمر يمثل شخصا من غرب آسيا كما يتضح ذلك من شكل الرأس والذقن وكذلك هيكل قارب من الفخار .

أما مساكن المعادى فانها تركزت حول وسط القرية وكانت متعددة الأشكال فمنها ما كان يبنى من قوائم من جذوع أشجار تلف حولها أغصان رفيعة ثم تطلى بالطين وأبوابها نحو الجنوب للحماية من الرياح الشمالية السائدة ومنها ما كان على شكل كلمة pr الهيروغليفية التى تعنى « منزل » مما يدل على أن رسم هذه الكلمة منقول عن الشكل الغالب فى مساكن عصر ما قبل الاسرات ، وقد وجدت عدة كهوف عثر فيها على آثار تدل على أنها كانت للسكنى وهى غالبا مستديرة وتتعمق إلى ما يزيد عن ½ ٢ متر ولها درج يؤدى إلى الداخل وبالكهف قدر كبير مثبت فى حفرة خاصة ، كما وجدت على امتداد الجدران من الداخل حفر صغيرة على أبعاد متساوية ربما كانت لتثبيت قوائم خشبية يقام عليها السقف أو يلف حولها حصير ليحول دون انهيار الرمال إلى الداخل - ويهمنا من هذه الكهوف كهف مستطيل ذو جدران رأسية كسيت من الداخل بقطع من الحجر الجيرى فى بعض أجزائها وباللبن الكبير الحجم فى البعض الآخر فهو يمثل فن البناء فى

(١) يظن أن الجمل وجد فى مصر لفترة وجيزة قبل أو فى بداية عهد الاسرات ثم انقرض منها ولم يصبح استخدامه شائعا إلا لأسباب اقتصادية فى العهد اليونانى — أنظر :
J. Capart "Primitive Art in Egypt" 1905, p.189, 202; H.Kees, "Ancient Egypt" Translated by Morrow (London 1961), p. 53.

هذا العهد السحيق ، وقد عثر فيه على عدد من الحفر التى كانت تثبت بها الأعمده لحمل السقف. كما عثر على قدر كبير للتخزين .

وكانت المواقد الصغيرة تقام داخل المنازل بينما تقام المواقد الكبيرة أمام المنازل ، وكان الموقد عبارة عن أحجار متراصة تحصر بينهـــا الوقود أما المخازن فكانت على شكل حفر يتراوح عمقها بين متر ومترين وكان بعضها يزود بسياج يحيط بالحفرة وله سقف يقوم على قوائم من الخشب وإلى جانب هذه المخازن كان القوم يخزنون المؤن أحيانا فى قدور كبيرة أو سلال .

وكان البالغون من أهل المعادى يدفنون فى جبانه تقع فى بقعة منخفضة إلى جنوب القرية أما الأجنة فكانت تدفن فى قـدور كبيرة أو حفر غير عميقة فى المساكن نفسها ـ وكان الميت يدفن فى حفرة بسيطة (يتراوح عمقها بين ٢٠ ، ٩٠ سم) ثم يهال عليه التراب ـ وكان يوضع مقرفصا إلا فى حالات قليله وجدت فيها الهياكل ممـدة ، ولم يكن للرأس أو الوجه أتجاه ثابت كما لم يعثر على شىء مع الجثة سوى بقايا حصير أوجلد أو قماش كانت تغطى به الجثـة ، وفى بعض المقابر عثر بجوار المتوفى على إناء واحـــد من الفخار وكان لكل عائلة قسم خاص من الجبانة ، كما عثر على حيوان شبيه بابن آوى مدفون بعنـاية وفى وضع منثنى ممـا يوحى بعبادة هـذا الحيوان الذى عبـده فراعنة العصور التاريخية كإله حارس للجبانة ـ ويدل وجود آنية الفخـار على اعتقادهم بالحياة الثانية كما يدل وجود الجبانة بعيدة عن المساكن على

أنهم كانوا فى مرتبة حضارية أرقى من مرتبة أهل مرمدة وحلوان الثانية .

ومن كل ماسبق يتبين لنا أن أهل هذه الحضارة عرفوا الزراعة والرعى والنسيج وكانوا على علاقات تجارية وثقافية مع الحضارات الشرقية والجنوبية ولاشك فى أنهم وصلوا إلى مرتبة حضارية لابأس بها .

المميزات العامة للحضارة المصريه قبل قيام الاسرات

سبق أن أشرنا إلى أن الدراسات التى سبق القيام بها عن الحضارات التى تلت عصر الحضارة السبيلية وتسبق قيام الأسرات فى مصر لم تعمل بدقة كافية وأن من الأفضل أن يطلق على الأزمنة التى سادت فيها تلك الحضارات أسم « عصر ماقبل الأسرات » أى أنه يتضمن حضارات العصر الحجرى الحديث وعصر بداية أستعمال المعادن الذى عرفه أغلبية العلماء باسم ما قبل الأسرات (حسب التقسيم الذى اتبعناه هنا) كذلك يرى البعض بأن الحضارة التاسية من صميم حضارة البدارى وأن هذه الأخيرة هى أقدم الحضارات التى تتلو الحضاره السبيليه كما يؤكد هؤلاء أن حضاره الفيوم « ا » لا تسبق فى زمنها كثيرا حضاره نقادة « ب » أو على الأقل تعادل حضارة العمره (نقاده ١) فهى إذا أحدث من حضارة البدارى ومع كل فإننا إذا ما أردنا أن نتبع أرجح الآراء يمكن أن

نرتب هذه الحضارات تاريخيا وفق الجدول الآتى :

التاريخ	الوجه البحرى والفيوم	الوجه القبلى
حوالى سنة ٣٠٠٠ + ١٥٠ قدم	قيام الاسرة الفرعونية الأولى	
	المعادى حلوان « ب »	سماينه (نقادة ٢ ب)
حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م	الفيوم (ب)	
	مرمدة بنى سلامة الفيوم (ا)	جرزة (نقادة ٢ ا)
		العمرة (نقادة ١)
حوالى ٥٠٠٠ سنة ق . م	حلوان (ا)؟ (العمرى)	تاسا والبدارى

ويمكننا أن نلخص أهم مايميز تلك الحضارات فيما يلى :ـ

(١) لم يعثر فى منطقة الفيوم على مقابر وإنما عثر على أماكن السكن والمواقد ومخازن الحبوب وبعض هذه المخازن كبير الحجم إلى درجة أن من الممكن أعتبارها مخازن جماعية مما يدل تنظيم اجتماعى تعاونى .

(٢) كان الدفن بين المساكن فى مرمده بنى سلامة وحلوان «ب» أما فى بقية الحضارات فقد وجدت فيها جبانات خاصة ،

وتختلف البدارى عن غيرها فى أن جبانتها (بحكم موقعها) تقع إلى شرق المدينة وكانت المقابر ، عبارة عن حفر مستديرة أو بيضاوية ولكن ابتداء من عهد نقادة الثانية كانت جدران هذه الحفر مستقيمة إلا أن أركانها كانت تميل إلى الاستدارة . وكان الميت يدفن على جانبه فى وضع مقرفص بحيث تثنى الركبتين إلى البطن والذراعين أمام الوجه (أى فى وضع يشبه الجنين) ويحميه من التراب حصير يلف به أو يكفن فى جلد ، ويحاط أحيانا بغطاء خشبى من الأغصان ـ وفى المعادى كانت الأجنة تدفن داخل المساكن فى حفر غير عميقة أو فى قدور كبيرة .

(٣) كانت مدن الدلتا كبيرة تنتشر مساكنها فى مساحات واسعة أما مدن الصعيد فكان يحددها ضيق الوادى .

ومساكن الدلتا تختلف فى طرزها باختلاف المدن : ففى العمرى كانت دائرية على الأرجح ، وفى مرمده كانت إما بيضاوية مبنية بالطين يرتفع جدارها نحو متر واحد ولم يكن لها سقف فى الغالب أو مستديره تقام على أعمدة ، وتختلف مساكن حلوان الثانية فمنها ما كان يقام بحيث يكون جزء منه تحت مستوى سطح الأرض وهو بشكل بيضاوى تقوم حوله جدران من الحصير المغطى بالطين ومنها ما كان يقام بأكمله فوق سطح الأرض والمعتقد أن النوع الذى كان به جزء تحت سطح الأرض لم يكن مساكن وإنما كان يستعمل كمخازن ، أما مساكن المعادى فقد تعددت أشكالها ولم يقتصر على

تلك التى أقامها الإنسان بنفسه بل استعملت بعض الكهوف كمساكن أيضـــاً .

ومساكن الصعيد لا يعرف عنها الكثير إذ لم يعثر على آثار للمساكن فى البدارى ولاتوجد إلا آثار ضئيلة لمساكن نقادة الثانية أما فى نقـادة الأولى فقـد وجـد ما يشير إلى وجـود دروات من مـواد خفيفـــة للحماية من الرياح وإلى وجـــود أسوار شبه دائرية من الطين يحتمل أنه كانت بداخلها مبانى ثابته من الطين وربما كانت هذه الاسوار بها فيهـا مساكن أو مخـازن ومن المرجح أن هذه المساكن ظلت شائعة فى عهد نقادة الثانية ، وإلى جانب هـذه وجدت مساكن أخرى بسيطة وكانت إما دائرية من الطين أو مستطيلة صغيرة من اللبن .

(٤) عرفت هـذه الحضارات الزراعة وخاصة زراعة الحبوب (Triticum dicoccum) ووجدت بها المخازن والمطامير واستخدمت الرحى وعرفت صنـاعة السـلال والنسيج وصنعت الأوانى الفخـارية والحجرية واستخدمت الحلى بكثرة .

(٥) أعتقد أهل هـذه الحضارات فى البعث بدليـل دفن بعض الأثاث الجنزى معهم ، ولم يكن أثاثهم الجنزى هـذا يتجاوز بعض الأوانى الفخارية وأدوات الزينة والصيد ،كذلك قدسوا بعض الحيوانات إذ وجدت هذه مدفونة بعناية فى مقابر خاصة - كما عرفوا السحر فى أغلب الظن - لأن بعض التمائم وجدت ضمن آثارهم .

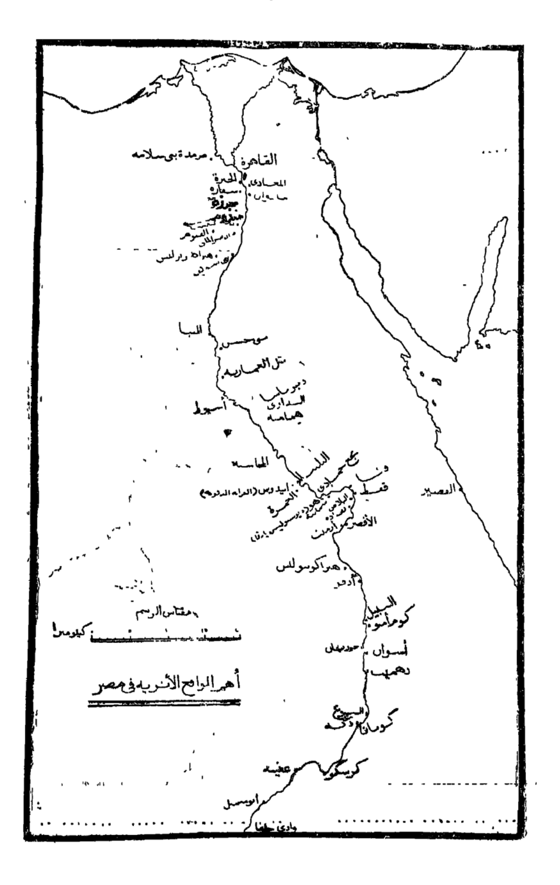
(٦) عرفوا استخدام النحاس منذ عهد البدارى ولكن لم يستخدم إلا نادراً .

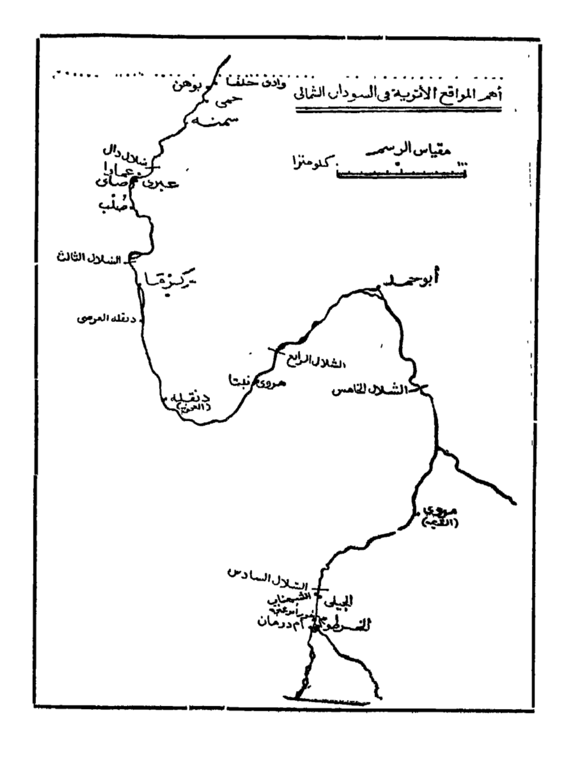
(٧) كان الفخار فى عهد البدارى أحسن أنواع الفخار فى مصر القديمة وقــد أمتاز برقته المتناهية مع أنه كان يصنع باليد ولم يكن دولاب الفخار قد عرف بعد وقد ظهر فى الرسوم المنقوشة على نخار نقادة الثـانية ما يوحى بوجود اتصال بينهـا وبين حضارة سومر مما دعا الظن بأن الحضارة المصرية تأثرت بتلك الحضارة .

(٨) لم تـكن صناعة الصوان جيـدة فى البدارى ولـكنها كانت ممتازة فى حضارات نقـادة الاولى والثانية وكان العــاج يستخدم بإتقان بالغ .

(٩) بدأ الأنسان محاولاته فى صناعة التمـاثيل من عهد البدارى إذ وجدت فيها ثلاثة تماثيل صغيرة من مواد مختلفة (أحدها نخار والثانى عاج والثالث صلصــال) وبدأ الطابع المصرى فى فن النقش والتصوير يتخذ مظهره الذى عرف به منذ عهد نقادة الثانية كما مهد لظهور الـكتابة .

(١٠) تدل الدلائل الأثرية بأن الدلتا تغلبت على الصعيد فى عهد حضارة جرزة وتمكنت من توحيد مصر ولكنها لم تلبث أن انقسمت إلى مملـكتين ثم حدث توحيد آخر إلا أن الانفصال عاد من جديد ـ وبعد ذلك حدث توحيد ثالث قام به الوجه القبلى على يد مينا وهو الذى بدأ العصر التاريخى وكان أطول أمدا وأبقى من التوحيــدين الســابقين .


القاهرة
المعادى
الجيزة
البيا
أسيوط
الداخله
أبيدوس
قفط
الأقصر
هيراكونبوليس
أسوان
كوم أمبو
كوروسكو
وادي حلفا
القصير
كيلومترا
أهم المواقع الأثريه في مصر


أهم المواقع الأثرية فى السودان الشمالى
مقياس الرسم
كيلومترا
وادى خلفا
بوهن
سمنه
شلال دال
عمارا
عبرى
صاى
صُلب
الشلال الثالث
كرمة
دنقله العرجى
أبو حمد
الشلال الرابع
مروى نبتا
دنقله (العجوز)
الشلال الخامس
مروى (البجراوية)
الشلال السادس
الجيلى
الشهيناب
أم درمان
الخرطوم

النوبة وشمال السودان

لم يدرس السودان من الناحية الأثرية دراسة وافية بعد ولا يعرف شيئا عن تاريخ المنطقة التى تلى خط عرض ١٠° شمالا — أما شمال ذلك فان الدراسات التى تمت حتى الآن تدل على أنه ارتبط فى تاريخه بمصر ارتباطا وثيقا وذلك لتشابه ظروف البيئة بين جزئه المجاور لها حتى أن من الممكن اعتباره امتدادا لها وبذلك يصعب التمييز بينهما ، وكان لارتباطهما معا بنهر النيل أكبر الأثر فى تشابه الخطوات الأولى التى سارها السكان فى كل منهما فى تيارهما الحضارى .

فحينما أخذ المناخ فى الجفاف فى شمال أفريقيا اتجه الانسان إلى المجارى المائية العظيمة وعاش بالقرب منها وهكذا نجد بعض مخلفات أقدم العصور فى جهات متفرقة من حوض النيل وإن كانت بعيدة فى المناطق الصحراوية المرتفعة والهضاب التى تحف بواديه .

ولا يعرف الوطن الأصلى لأقدم سكان وادى النيل ولا الطرق التى اتخذوها اليه ونظرا لقلة الأبحاث التى أجريت فى السودان فإننا لا نعرف الكثير عن عصوره التى سبقت الكتابة ويمكن القول بصفة عامة أنها تتلخص فيما يلى :

العصر الحجرى القديم الاسفل

تشبه آثاره ما وجد فى مصر وفى بقية العالم القديم ويمكن تتبعها

فى أماكن متفرقة من الوادى إلى وادى حلفا أما فى جنوب ذلك فان ما تم الكشف عنه حتى الآن لا يكفى لتكوين فكرة صحيحة عن هذا العصر فى تلك الجهات ، ولكن ـ مع شيء من التجاوز واستنادا إلى الأبحاث الضئيلة التى تمت حديثا ـ يمكن أن نقرر بأن آثاره وجدت فيما بين عبرى وأم درمان وفى وادى العطبرة ولم يعثر على آثار له فى وادى النهر فيما بين عبرى ووادى حلفا وإنما وجدت بعيدة عنه إلى الغرب ومن المحتمل أن النيل فى تلك الجهة كان يجرى فى منخفض يقع إلى غرب مجراه الحالى [1] . ولا يوجد ما يؤكد وجود العصر الحجرى القديم المتوسط ولا العصر الحجرى القديم الاعلى

العصر الحجرى المتوسط

لم يعثر على آثار من هذا العصر بالسودان وإن كان من المرجح أن الحضارة القفصية التى انتشرت فى شمال أفريقية قد وجدت سبيلها اليه ، وقد تميزت هذه الحضارة فى الأقاليم المختلفة بمظاهر خاصة وإن كانت الفوارق التى نشأت بينها كانت طفيفة إلى درجة أنها لا تبدو إلا بعد التعمق فى الدراسة والبحث كما يتضح ذلك عند مقارنة الحضارة السبيلية فى مصر بما يعرف عن الحضارة القفصية الأصيلة التى تفرعت منها [2] .

---

(١) Arkell, " The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan " (Sudan Antiquities Service occasional papers. I) , pp. 34, 43 - 4, 83 and Map .

(٢) أنظر أعلاه ص ٢٦ .

العصر الحجرى الحديث

عثر فى الخرطــــوم على آثار يعتقـــد آركل أن بينها وبين البدارى بعض الصلات ، بل ويميل إلى أنها أقدم منهـا وأنها سلف لها ـ ولـكن النتائج التى وصل اليها لا يمكن قبولها كلية فمع أنه أبرز التشابه بين بعض المظـــاهر فى حضارة الخرطوم وبين نظائرها فى حضارة البدارى إلا أن الحضارة فى كل منهما تختلف عنها فى الأخرى فى كثير من الوجوه ، فمثلا يبـــدو التشابه واضحا بين زخرفة فخـار من الخرطوم وزخرفة فخار من البـدارى ولـكن كلا النوعين من الفخار يختلفان إذ أنه فى الحالة الأولى ينـدر أن يكون ذو حافة سوداء بينما هو فى الحالة الثانية من الفخار الأسود بأكمله كذلك وجـدت من الخرطوم حراب مزدوجة من العظام ولم توجـد أسلحة عظمية فى البدارى ـ هذا ويلاحظ أن صناعة الصوان فى الخرطوم تشبه نظائرها فى الحضارة القفصية ولـكنها فى البدارى صناعة متأخرة .

ويرى آركل أن ما عثر عليه من آثار فى الشهناب[1] يماثل آثار الفيوم ا ويرجع حضارة الشهناب إلى نفس الزمن الذى تؤرخ به حضارة الفيوم ا ولـكنه بنى استنتاجه هذا على أساس غير سليم إذ أنه عند تقدير عمر الآثار العضوية التى عثر عليها فى كل من الفيوم والشهناب بواسطة كربون ١٤ احتسب أحدث تاريخ ممكن للفيوم بينما احتسب أقدم تاريخ للشهناب أى أنه على هذا الأساس يتغاضى عن

(١) أنظر أعلاه ص ٣٥ ملحوظه رقم (١)

فارق يقدر بنحو ٧٠٠ سنة تقريبا[١] وليس لدينا حتى الآن ما يؤكد وجود آثار ترجع إلى العصر الحجرى الحديث فى السودان سوى فى الخرطوم والشهناب ومع كل فقد أثبت Crawford [٢] بما لا يدع مجالا للشك أن بعض قطع الفخار التى عثر عليها فى كل منهما تماثل بعض فخار جبل مويا الذى يؤرخ بحوالى سنة ١٠٠٠ ق . م .

نقادة الأولى : عرفنا أن هذه الحضارة تتركز بصفة عامة فى منطقة نقادة نفسها وفى بعض الأماكن القريبة منها فى مصر العليا ولا يعرف شيئا عن امتدادها خارج حدود مصر العليا إلا فى جبانة منعزلة فى النوبة السفلى عند خوربهان وربما كانت هذه تمثل نقطة أمامية لأهل هذه الحضارة ـ أما فى شمال السودان فلم يعثر على ما يفيد امتداد هذه الحضارة إلى هناك حتى الآن .

نقادة الثانية : كانت هذه الحضارة فى وادى النيل أوسع انتشارا من سابقاتها حيث عثر على آثارها فى مناطق متفرقة من ضفتى النهر فى كل من مصر العليا والنوبة السفلى إلى سيالة جنوبا ثم تختفى آثارها

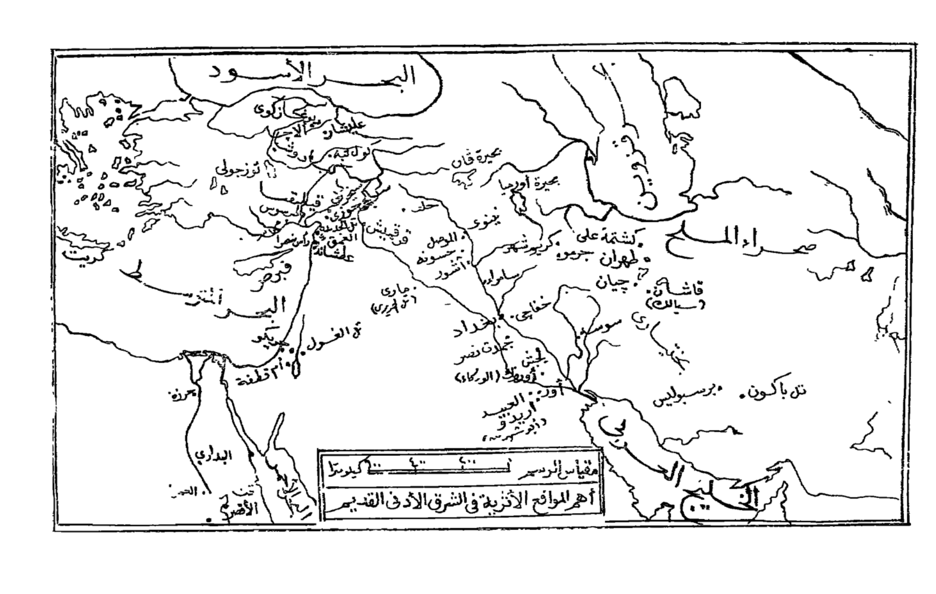
(١) تقدر النتائج المعترف بها حتى الآن فى تأريخ الآثار العضوية بكربون ١٤ على أساس زيادة التأريخ الذى يقدره كربون ١٤ أو نقصه بمقدار ٣٥٠ سنة ـ أنظر مع ذلك
A. J. Arkell, " Shaheinab" , 102 ff & esp. 107 :

(٢) Kush II, 88 ff.

إلى الجنوب من ذلك إلا من جبانة منعزلة فى جمى بالنوبة العليا[٣] ورغم أنه لم يعثر حتى الآن على ما يدل على انتشار هذه الحضارة فى شمال السودان إلا أنه يغلب على الظن أن هذا الاقليم كانت تسوده أثناءها حضارة مماثلة مع احتمال وجود فوارق بسيطة حتمتها ظروف البيئة حيث أن الوادى فى شمال السودان أضيق منه فى مصر وقد نتج عن هذا أن ظل هذا الاقليم متخلفا فى حضارته عن مصر - بل واستمر يعيش فى حضارات ما قبل الأسرات المصرية حتى بعد أن دخلت مصر فى عصرها التاريخى .

---

(٣) تعرف الارض الواقعة فى جنوب أسوان باسم بـلاد النوبة وهى تنقسم الى قسمين : الشمالى وهو النوبة السفلى يمتد الى وادى حلفا جنوبا أى أنه من صميم الاراضى المصريه ، الجنوبى وهو النوبة العليا ويمتد من وادى حلفا جنوبا الى خط عرض ١٨° (شمالا) تقريبا أى أنه يدخل فى شمال السودان



البحر الأسود
بحر قزوين
صحراء الملح
البحر المتوسط
الخليج العربي
البحر الأحمر
قبرص
كريت
بحيرة فان
بحيرة أورميا
نينوى
الموصل
حسونة
آشور
سامراء
حلف
جرمو
كريم شهر
تبة سيالك
كاشان
سوسة
خفاجي
بغداد
جمدة نصر
نفر
أوروك (الوركاء)
أور
العبيد
أريدو
بريسبوليس
تل باكون
ماري
تل حريري
تل الغول
أريحا
أم قطفة
جرزة
البداري
الأقصر
تبة جيان
علي شار
كول تبة
تل حلف
قرقميش
مقياس الرسم
كيلومترا
أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى القديم

العراق

يقع العراق فى جنوب غربى آسيا ويحتل القسم الشمالى الشرقى من الوطن العربى ـ وهو يبدو لأول وهلة شبيها بمصر من حيث ظروفه الطبيعة إذ يعتمد سكانه فى صميم حياتهم على نهرى دجلة والفرات وقد استرعى التشابه بين الفرات وبين النيل أنظار قدماء المصريين فأطلقوا عليه اسم النهر المنعكس أى الذى يسير على غير ما ألفوه فى النيل .

ولا يقتصر الفرق بين مصر والعراق على اتجاه الأنهار فحسب وإنما تبدو الاختلافات بينهما واضحة عند دراسة بقية الظروف الجغرافية فى كل منهما ـ فبمقارنة ما عرفناه من طبيعة مصر[1] بما نجده فى العراق نجد أن هذا الأخير ينقسم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الشمالى : وتغلب عليه الطبيعة الجبلية إذ تكثر به المرتفعات التى تتخللها وديان نهرى دجلة والفرات وفروعهما ويفصله عن الجهات التى تقع أبعد من ذلك شمالا سلسلة جبال طوروس وهضبة أرمينيا .

والقسم الجنوبى : وهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية لأنه كان جزءا من الخليج العربى ثم غمرته الرواسب التى جاء بها نهرا دجلة والفرات من المناطق الجبلية فى الشمال .

---

(١) أنظر أعلاه ص ٢٩ ـ ٣٠

ونظرا لوقوع العراق فى طريق الهجرات البشرية التى حدثت فى أزمنة مختلفة من تاريخ الانسان فقد استقرت به عناصر مختلفة سامية وغير سامية وإن كانت العناصر السامية قد سادت فيه فى معظم أدواره التاريخية إلا أن العناصر غير السامية كانت تتوغل فيه أحيانا وخاصة من الشمال والجنوب الشرقى ـ وكان لهذه العوامل بالطبع أثرها فى تاريخ العراق وحضارته ـ وسنتناول فيما يلى حضاراته قبل عصوره التاريخية .

العصر الحجرى القديم

لم يعثر إلا على آثار ضئيلة جدا من حضارات العصر الحجرى القديم وهى تتمثل على الخصوص فى هضبة كردستان إذ وجدت فى كهوف باليكورا وكريم شهر وهما ترجعان إلى نهاية العصر الحجرى القديم وإن كان البعض يميل إلى تأريخ حضارة كريم شهر بأوائل العصر الحجرى الحديث .

العصر الحجرى الحديث

تتمثل آثار هذا العصر فى حضارات جرمو (فى لواء كركوك) وحسونة (فى لواء الموصل) وسامراء (فى لواء بغداد) .

حضارة جرمو : عثر فى منطقة جرمو على حوالى ١٢ طبقة حضارية ، وتتميز الآثار التى وجدت بالطبقات التى تنتمى إلى العصر

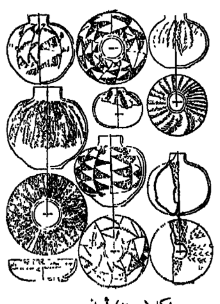
الحجرى الحديث فيها بأن بقاياها المعمارية تمثل منازل بسيطة تتألف جدرانها من الطين وهى مقامة على أساس من الحجر - وقد عثر فى هذه الطبقات على بعض التماثيل الصلصالية التى تمثل بعض الحيوانات وآلهة الأمومة ، كذلك عثر فيهـــا على مناجل فخارية وبقايا بعض الحبوب مما يوحى بتوصل أهل هذه الحضارة للزراعة ، كما وجدت لديهم بعض الأدوات والأوانى الحجرية (شكل ١٩) - وتدل بقايا



(شكل ١٩ــ أدوات وأوانى من جرمو)

الحيوانات التى عثر عليهـا على أنهم استأنسوا الأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع صغيرة من الخيول - ومن المحتمل أن تكون حضارة جرمو حضارة قائمة بذاتها حيث يظن أن بينها وبين كريم شهر فجوة حضارية كما أن بينهـا وبين حضـــارة حسونه فجـوة حضاريه أخرى ، وقـد يرى البعض أن حضارة جرمو تعاصـر حضارة الفيوم ولـكن - نظرا لأن الفيوم يشك فى أنها تعد معاصرة لحضارة نقادة الأولى التى تعد من عصر بداية استعمال المعـــادن بينما ترجع حضارة جرمو إلى العصر الحجرى الحديث - فان من العسير الاخذ بهذا الرأى .

حضارة حسونة : يبدو أن حياة الاستقرار بالمعنى الصحيح أخذت تثبت دعائمها ابتداء من عصر هذه الحضارة التى ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد تقريبا ، ومع أن أهلها كانوا يعيشون فى بداية الأمر فى بيوت من الشعر[1] إلا أنهم اتخذوا بيوتا بسيطة من الطين فيما بعد - وقد وصلوا إلى مرحلة لا بأس بها من التقدم والرقى إذ تتميز حضارتهم بنوع من الفخار المزين بالنقوش والأصباغ (شكل ٢٠)، انتشر استعماله فى المناطق الممتدة إلى البحر المتوسط .



شكل (٢٠) أوانى من حسونه

ولم يستعمل أهل هذه الحضارة المعادن بل ظل الحجر مستخدما فى صنع أدواتهم ، وتدل آثارهم على أنهم كانوا زراعا وأنهم استأنسوا الغنم والماعز والخنازير - ولم يمكن التوصل حتى الآن إلى الجنس

(١) طه باقر « مقدمة فى تأريخ الحضارات القديمة » ج ١ (بغداد سنة ١٩٥٥) ص ٦٠

الذى كان مسئولا عن هذه الحضارة رغم العثور على جثث أطفال دفنت فى أوانى فخارية كبيرة .

حضارة سامراء :[١] عثر فى هذه الحضارة على أوانى فخارية مزينة بنقوش هندسية وحيوانات وأشخاص ، وهى تؤرخ بأواخر الألف السادس قبل الميلاد وتدل الآثار التى وجدت بها على وجود علاقات بينها وبين أرمينيا وبلاد العرب حيث وجدت فى صناعاتهم بعض المواد التى حصلوا عليها من هذه الجهات .

عصر بداية استخدام المعادن(٢)

حضارة حلف : [٣] يختلف المؤرخون فى أصل هذه الحضارة التى تعد أول عهود ما قبل الأسرات فى العراق وقد وجدت آثارها فى جهات مختلفة تمتد غربا إلى منطقة العمق فى سوريا ، كما وجدت فى الأربجية قرب الموصل .

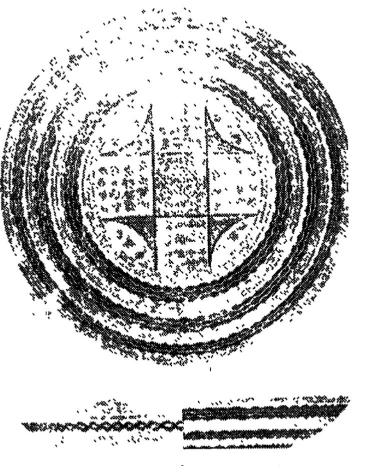
وتتميز هذه الحضارة بأوانى فخارية مصقولة رقيقة الجدران ، كان الاناء الواحد منها يلون بألوان متعددة وكلها زاهية وجميلة

(1) E. Herzfeld " Die Ausgrabugen von Samarra ", V. Die Vorgeschichtlichen Topfereien. (Berlin-1930) : Andrè Parrot, Archèologie Mesopotamienne II (1953) .

(٢) أطلق على هذا العصر فى العراق أيضا اسم ماقبل الاسرات شأنه فى ذلك شأن مصر — أنظر أعلاه ص ٤٧ ومابعدها

(3) Andrè Parrot, op.cit., pp. 136 ff.

(شكل ٢١) ، وتعد الزخارف التى زينت بها هذه الأوانى من أحسن ما خلفه الانسان القديم على الفخار — كما تتميز هذه الحضارة



شكل ٢١ إناء من الأربجية (دور حلف)

أيضا ببدء استخدام النحاس وزيادة القرى عنها فى العصر السابق ، وتدل الآثار التى اكتشفت فى الأربجية على أن القرية كانت شوارعها مبلطة بالحجارة وأنها كانت محاطة بسور ووجدت بها بعض المبانى العامة والمعابد مما يدل على تقدم الحياة الاجتماعية — وقد وجدت بين آثارها تماثيل صغيرة تمثل آلهة الأمومة .

وليس من الغريب أن تنسب هـذه الحضارة إلى حلف التى تقع فى الاقليم السورى وتخرج عن نطاق العراق فقد وجدت آثارها فى أماكن متفرقة من سوريا مثل رأس شمرة (أوجاريت القـديمة) إلى جانب وجودها فى بعض جهات العراق .

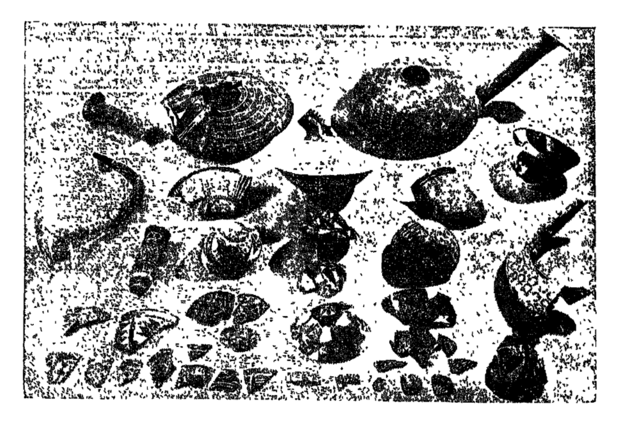
وكثيرا ما يقارن بين هذه الحضارة وبين حضارة البـدارى لأن كلا منهما تطورت فيه صناعة الفخار تطورا كبيرا واستخدمت النحاس وصنعت تماثيل لآلهة الأمومة ولكن ما زالت البحوث العلمية فى هذا الصدد بحاجة إلى المزيد من المجهود حتى يمكن تأكيد الروابط بينهما .

هـذا ويلاحظ بأن كل الحضارات من أقـدم العصور إلى عصر حضارة حلف ليست ممثلة فى جنوب العراق مما يرجح أن هذا الاقليم لم يكن صالحا للسكنى حتى قيام هذه الحضارة .

حضارة العبيـد : يبدو أن الاقليم الجنوبى من العراق أخذ يصلح للسكنى ابتداء من عصر هذه الحضارة وكان لاختلاف ظروف البيئة فيه عنها فى الاقليم الشمالى ما يدعو إلى وجود بعض الاختلافات فى مظاهر الحضارة التى سادت فى هـــذا العصر بين الشمال والجنوب وهذا ما يذكرنا بما حدث من تخصص إقليمى فى حضارات العصر الحجرى الحـديث فى مصر ، ويدعونا هـذا إلى التمييز بين حضارة العبيد الشمالية وحضارة العبيد الجنوبية فحضارة العبيد الشمالية تتميز

بالفخار الملون والتماثيل الطينية الصغيرة والأوانى الحجرية والأدوات العظيمة كما عثر فى أحد المناطق (تبة كورا) على مجموعة من المبانى الهامة التى تمثل المعابد والمنازل استخدم الآجر فى بعض أبنيتها ولم يستعمل الحجر فى ذلك إلا نادرا وقد عثر على مقابر الأطفال فى طبقات المنطقة بينما كان البالغون يدفنون فى جبانات على السطح عند أسفل التل وكانت المقابر أحيانا تغطى بالحصير

أما حضارة العبيد الجنوبيـة فتعتبر أقدم حضارة ظهرت فى هـذا الجزء حيث أن مخلفاتها تستقر على الأرض البكر ومن أهم مواقعها تل أبو شهرين (أريدو) وأور وقلعة الحاج محمد (قرب الوركاء) ومن أهم ما يميز هذه الحضارة الفخار الملون بلون يميل إلى الخضرة والحمرة أو اللون البنى والرسوم التى تزينه ملونة بألوان مائية سوداء وهى تمثل أشكالا هندسية (شكل ٢٢) ممـــا يذكرنا بحضارة نقادة الأولى فى مصر وقد عثر كذلك على تماثيل طينية وادوات وأوانى حجرية وبعض المناجل التى على شكل الهلال ـ وتتمثل الآثار المعمارية فى مجموعة من المعابد حيث نجد أن عمارة المبانى ذات المـــداخل والمخارج التى على أبعاد منتظمة تأخذ فى الظهور منذ هذا العصر ، وهو الطراز الذى يبـدو بصورة واضحة فى مقابر عهـد الأسرتين الأولى والثانية فى مصر ـ ويبدو أن حضارة العبيد على العموم قد جاءت من إيران إلى جنوب العراق ومنه انتشرت إلى الشمال ومنذ ذلك الحين أحرز جنوب العراق قصب السبق في ميدان الحضارة .



شكل ٢٢ — أوانى فخارية من أريدو (حضارة العبيد)

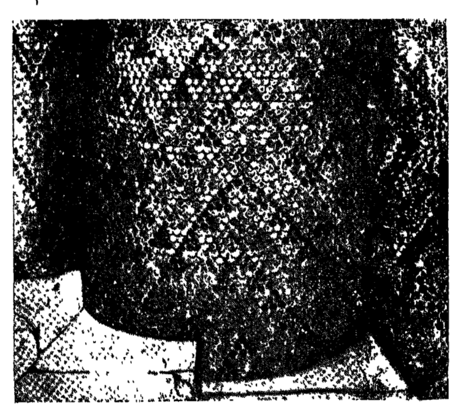
حضارة الوركاء : تتمثل هذه الحضارة فى بضعة مواقع لم يعثر فيها على مقابر إلا فى موقعى أور وخفاجة حيث عثر على بضعة مقابر صغيرة — وقد عثر فى الوركاء على برج مدرج من اللبن عرف باسم الزاقورات[1] ومن حوله جملة معابد عرفت بمعابد إى — أنا (معابد الالهة عشتار) ، ومن المعابد التى عثر عليها من هذه الحضارة أيضا

(١) عن الزقورات أنظر :

André Parrot, Ziggurats et Tour de Babel, (Paris 1949)

معبد جميل شيد لعبادة الاله آنو (إله السماء) ومعبد آخر عرف باسم المعبد الأبيض ومعبد ثالث لعبادة نن - كش - زيدا (الهة أو سيدة الخشب) .

وتتميز هذه الحضارة بوجود أقدم أمثـــلة للنحت فى السطوح المستوية ونحت كتل الأجسام (نحت التماثيل أو النحت المستدير) ، هذا فضلا عما عثر عليه من آثار تدل على تطور فى الصناعة مثل الأوانى الحجرية والأختام الاسطوانية وأدوات الزينة وتتمثل فى هذه الحضارة كذلك أقدم المحاولات فى التوصل إلى الكتابة وهى كتابة بدائية استعملت فيها الصور لتدل على معانى وكانت تكتب بقلم معدنى



شكل ٢٣ — أعمدة مغطاة بالموزاييك المخروطى الشكل فى أوروك

ذو طرف مدبب على لوحة من الطمى قبل ان تجف - وامتازت هذه الحضارات أيضا بنوع من الفخار الأملس المصبوغ بالأحمر والبرتقالى كما أن المبانى كانت تزخرف بقطع صغيرة من الفخار أو الحجر الملون وهذه القطع كانت مخروطية الشكل وتثبت فى الجدران المبينة باللبن فى صفوف بحيث تبدو كأنها فسيفساء (شكل ٢٣).

حضارة جمـــدة نصر : آخر مرحلة سابقة للعصر التاريخى وقد استطاع الانسان فيهـا أن يصل إلى مرحلة متقـدمة فى الفن والـكتابة حيث نجد أمثلة متفوقة فى العمارة ذات الفجوات المنتظمة - وتطورت صناعة الأوانى الحجرية والفخارية وزخرفتها كما أن الرموز التى استعملت للتعبير بالـكتابة تعددت وبسطت حتى أصبح من الميسور أن يعبر بها عن أغراض شتى أكثر من ذى قبل ، على أن أهم موضوعات الـكتابة التى عثر عليها فى هذه المرحلة كانت تتصل بحسابات مختلفة منهـــا ما يتعلق بالمعابد وهذا يدل على مدى ارتباط النواحى الاقتصادية بتطور الـكتابة كما أنه يعتبر تمهيدا للعصر التاريخى ، ويمكن القول بأن التوصل للـكتابة قد ساعد على تنظيم النواحى الاقتصادية بل والسياسية والاجتماعية كذلك - على أنه يجب أن لا يغيب عن الذهن ما نلاحظه من اختلاف فى ظروف البيئة بين مصر وبلاد ما بين النهرين حيث أنها فى الأولى قد ساعدت على توحيد كل من مصر السفلى والعليا قبل ظهور الـكتابة بزمن طويل أى أن سهوله الاتصال بين الجماعات التى عاشت فيها قد مكنت من تعاونهم واتحـــادهم فانضووا تحت لواء

هاتين الوحدتين الكبيرتين ، أما فى الحالة الثانية (بيئة بلاد ما بين النهرين) فقد كانت صعوبة الاتصال نسبيا سببا فى تكوين عدد من المدن تحكم كلا منها حكومة معينة - ويرى البعض أن بلاد ما بين النهرين توصلت منذ نهاية عصر التمهيد للكتابة إلى إيجاد نوع من الحكم الديمقراطى إذ فرضت ظروف البيئة (التى كانت عرضة للكثير من الفيضانات والأعاصير وإغارات الشعوب المجاورة) إلى إيجاد نوع من التنظيم الاجتماعى وخاصة لمواجهة الخطر المشترك او للرغبة فى النفع المشترك كالتحكم فى مياه الأنهار واستغلالها

وكان للتوصل إلى بعض مظاهر الحضارة فى كل من مصر والعراق إحداهما قبل الأخرى ما جعل الأثريون والمؤرخون يختلفون فيما بينهم على أى الحضارات أسبق من الأخرى ولكن لم يمكن حتى الآن اثبات أسبقية حضارة إحداها بصفة مؤكدة ،كما أنه لايوجد من الأدلة القاطعة ما يكفى لاثبات أن الحضارة قد انتقلت من إحداها إلى الأخرى وخاصة فى تلك المراحل السحيقة فى القدم .

ثالثا — إيران

تتلو العراق شرقا منطقة إيران ، وتهمنا لأنها تعد النهاية الشرقية لإقليم الشرق الأدنى من جهة ولأنها كانت ذات أثر كبير فى تاريخه وحضارته من جهة أخرى ، وهى تقع فى طريق المواصلات البرية بين الشرق الأقصى والبحر المتوسط وكان سكانها من أقدم الشعوب التى توصلت إلى الزراعة والاستقرار فى سهولها ولذا كثيرا ما كانت تستقبل هجرات بين حين وآخر من وسط آسيا . وقد تمكن حكامها فى بعض عصورها التاريخية من أن يبسطوا نفـــوذهم على ما جاورهم وأسسوا امبراطورية واسعة وما أن أفل نجمها حتى أخـذت تصبح مجالا لتنازع القوى الكبيرة لموقعها الاستراتيجى الممتاز ولما لثرواتها الطبيعيه من أهمية اقتصادية .

وهى فى شكلها العام تمثل هضبة مثلثة تنحصر بين منخفضين : الخليج العربى فى الجنوب ، وبحر قزوين وسهل التركمان فى الشمال . وهى وإن غلبت عليها الطبيعة الجبلية إلا أن سلاسل الجبال تمتد فيها حول منخفض فى الوسط يمثل منطقة صحراوية كانت فى الأصل بحرا داخليا ثم جفت مياهه ، ففى الغرب تمتد سلاسل جبال زاجروس التى تسير فى سلاسل متوازية من الشمال الغربى إلى الجنـــوب الشرقى وتفصل فيما بينها عددا من الوديان ، وفى الشمال تمتد جبال البرز حتى تكاد تحف بالشاطىء الجنوبى لبحر قزوين وهى تنتهى غربا فى

منطقة أزربيجان التى تتوسطها بحيرة أرميا الملحـــة وتكاد تكون أكثر مناطق إيران كثافة فى السكان ، وقد عرفت باسم « الخليج الميدى » حيث يسهل الدخول إليها من الشمال الغربى والشمال والشمال الشرقى مما كان له أكبر الأثر فى تاريخها وفى الشرق توجد جبال خراسان وهى قليلة الارتفاع سهلة العبور ، وهى تمثل المنفذ الثانى لدخول إيران وفى الجنوب توجد جبال مكران - والجزء الأوسط من إيران صحراء من أجدب بقاع العـــالم وهى تنقسم إلى قسمين :- الشمالى منهما عبارة عن مسطحات طينية ملحية لا يعيش فيها كائن إلا حيث تقل نسبة الملوحة فى جهات نادرة ، أما القسم الجنوبى فعبارة عن منطقة جافه تماما تنعدم فيها الحياة

وهكذا نجد أن الحياة فى إيران محتملة فى الوديان والسهول فقط سواء تلك التى تحف بالهضبه من الخـــارج أو تلك التى توجد بداخلها - وأهم هذه السهول سهل خوزستان فى الجنـــوب الغربى (منطقة سوسه القديمه) وهو يعد إمتدادا لسهول العراق وكان مقرا لمدنية قديمة مستقرة إلا أن أهله تأثروا فى تاريخهم بسكان الجبال والتلال المجاورة - وهم من قبائل بدويه أو شبه بدويه - وحينما اتسعت رقعه الامبراطوريه الإيرانيه كان مركزها فى وسط هذا السهل (حول سوسه) ، ومن السهول الخارجيه الأخرى السهل الشـــمالى الذى ينتهى عند الجبال المطلة على بحر قزوين - أما السهول الداخلية فى الهضبه فلم تلعب إلا دورا ثانويا فى حضارة إيران وكانت الصعوبة

الدائمة أمام أهلها تتلخص فى محاولة تدبير مياه الرى ، وقد عثر على ما يشير إلى أن القنوات الصناعيه كانت موجودة بها من أقدم العصور إلى الفترة الأخمينية ، ومع هذا فان مدن إيران القديمه وعواصمها كانت تقع فى مواجهة الصحراء على طول الطريقين الرئيسيين اللذين يحفان بسلستى الجبال العظيمتين البرز فى الشمال ومكران فى الجنوب) وكان لهذا أثره بالطبع حيث نجد أن أهم المواقع الأثريه - مثل سيالك (قرب قاشان) ودمغان ومشد وغيرها - تقع فى هيئة قوس حول الصحراء الملحيه سالفة الذكر .

وهكذا نجد أن الهضبه الإيرانيه - من الوجهه الطبيعيه - تعتبر مجزأة إلى مناطق منفصلة غير متجانسه فليس توحيدها سهلا كما أن الدفاع عنها عسير - ومع أن هذه كانت حالها فى تاريخها الطويل إلا أن أهلها وإن عاشوا مشتتين بين الواحات والسهول الزراعية الضيقة قد استطاعوا خلق مدنية تركت طابعها فى كثير من المدنيات الأخرى [١] ، ويبدو هذا واضحا من دراسة حضارتها قبل عصورها التاريخية .

العصر الحجرى القديم

أقدم ما عثر عليه من آثار فى إيران يدل على أن الانسان كان

---

(١) R. Ghirshman, " Iran,, (Pelican 1954), p. 26 .

يعيش فى الكهوف واستمر كذلك إلى العصر الحجرى الحديث ـ فقد عثر على آثار من العصر الحجــــرى القديم فى كهف تنجى بابدا Tang - i - Pabda فى جبال بختيارى Bakhtiari التى تحد الهضبة (١) من الغرب حيث عثر على فئوس حجرية ومن المحتمل أن الإنسان استعمل أوانى من عظام بعض الحيوانات فى هذه المرحلة .

أما العصر الحجرى المتوسط : فلم يعثر على آثار تمثــــله فى إيران حتى الآن وما زالت البحوث الأثرية غير كافيـــة بصفة عامة .

العصر الحجرى الحديث

حينما اشتد الجفاف فى أقاليم الشرق الأدنى أخذ الانسان يهجـر المناطق التى عاش فيها إلى وديان الأنهار وبالقرب من المجارى المائية الدائمة كما سبق أن أشرنا ، ولم يشذ أهل إيران عن غيرهم من سكان بقية أقاليم الشرق الأدنى فاتجهوا الى السهول حيث أخـذوا يتحولون الى حياة الاستقرار فيها ، وأقدم المحلات التى يمكن التعرف عليها فى السهول توجد فى سيالك (قرب قاشان) جنوب طهران التى نميز فيها بين طبقات حضارية ثلاث تعرف بين الأثريين باسم سيالك ١ ، سيالك ٢ ، سيالك ٣ على الترتيب ـ ولا ينتمى منها الى العصر الحجرى الحديث الا سيالك ١

(١) Ghirshman, op. cit., 27 f

سيالك ١ : تنتمى هذه الحضارة إلى نهـــاية العصر الحجرى الحديث ، وفيها لم يعرف الانسان بناء المنازل بل كان يحتمى - فى أول الامر - فى دروة من المواد الخفيفة ثم عرف - فى نهاية المرحلة - كيف يقيم جدرانا من الطين يأوى إليها ، ومع أنه أستمر صياداً إلا أنه أخذ يستأنس بعض الحيوانات (مثل الماشية والاغنام التى أكتشفت عظامها مع مخلفاته) وبدأ مرحلة الزراعة وصنع الفخار وهو إما أسود أو أحمر وكانت بعض أوانيه مزخرفة بخطوط أفقية ورأسية متقاطعة يحتمل أنها كانت محاكاة للسلال ، ومع هذا كانت كل أدواته من الحجر وقد عثر منها على سكاكين ومحتات وفئوس وغيرها . أما أدوات الزينة فكانت كثيرة منها دلايات من المحار ، وأساور ، وخواتم من المحار أو الحجر ، ومن المرجح أن الانسان فى ذلك العصر أستعمل الوشم أو طلاء الوجـــه على الأقل حيث عثر على مصحن وصلاية دقيقين - وقد أخذت النزعة الفنية فى الظهور فبدأ الحفر والنقش فى العظام إذ نجـــد مقابض بعض الادوات مزينة برسوم تمثل رأس غزال أو أرنب ، وأجمل ماعثر عليه من هـــذا العصر قطعة يحتمل أنها كانت مقبض سكين وهى فى هيئة إنسان يلبس قلنسوة ويغطى عورته إزار مثبت بحزام ، وهى تعد من أقدم تماثيل الشرق الادنى القديم .

وكان أهل هـذه الحضارة يدفنون موتاهم تحت أرضية المنـازل فى

فى وضع مقرفص ومن المرجح أنهم اعتقدوا فى البعث لوجود بعض الأثاث الجنزى والتقدمات مع الموتى .

ويدل وجود المحار ــ وهو من نوع يوجد على بعد ٦٠٠ ميل ميل من موقع سيالك ــ على أن إنسان سيالك (ا) كان على صلات تجارية مع مناطق بعيدة جداً ، ويرجح بعض الأثريين أنه توصل إلى معرفة النحاس واستخدامه فى بعض الأغراض البسيطة مثل عمل الدبابيس فان صح هذا فإن إيران تكون أول من إستخدام النحاس فى العالم القديم ولا يمكن فى هذه الحالة أن تعتبر سيالك (ا) ضمن العصر الحجرى الحديث .

عصر بداية استخدام المعادن

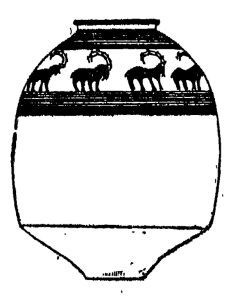
سيالك ٢ : هذه الحضارة تعاصر تقريبا حضارة البدارى فى مصر وحضارة حلف فى العراق وحضارة العمق ــ (التى سنشير إليها فيما بعد عند الكلام على سوريا) ، وهى مرحلة متقدمة يبدو أن الامور أستقرت فيها مما أتاح الفرصة للنهوض فبدلا من الكتل الطينية التى بنى بها الانسان مأواه فى العصر السابق استخدام اللبن الذى لم يكن منتظما تماما فى شكله إذ لم يكن يصنع بقوالب بل كان يهيؤ بين اليدين مما جعله يتخذ شكلا بيضاويا (أى أنه كان فى وسطه أكثر سمكا منه فى الطرفين) ، وكانت المنازل متسعة وأصبحت

تطلى باللون الأحمر وتزود بالأبواب أو منافذ تغطيهـا ستر ، وكان الموتى يدفنون فى أرضيتها كما كان الحال فى الحضارة السابقة ـ وتقدمت صناعة الأوانى الفخارية وزادت زخرفتها حيث زينت بمناظر حيوانات وطيور رسمت بلون أسود على أرضية حمراء ـ وقد استخدم النحاس بكثرة وإن كان مازال يطرق ولا يصب فى قوالب ولم يتعد استخدامه صناعة بعض الأوانى والدبابيس ، وكثرت أدوات الزينة واستخدمت فيها مواد جـديده مثل العقيق وغيره من الأحجار البراقة ـ ومن الحيوانات التى استأنسها إنسان هذه الحضارة كلاب الصيد والخيل الصغيرة الحجم بالإضافة إلى الماشية والأغنام التى عرف استئناسها من العصر السابق .

سيالك ٣ : يظهر فى هذه الحضارة تطور معمارى جديد إذ أصبح شكل اللبن منتظما بعد أن صار يصب فى قوالب وأصبحت القرى تخترقهـا ممرات طويلة ضيقة ومتعرجة تفصل بين الملاك المختلفين وكانت المنازل تزود بأبواب ونوافذ صغيرة ضيقة ، ولكن كان مما يساعد على زيادة إضاءتها أن جـدرانها لم تكن مستقيمة بل كانت ذات مداخل ومخارج أو فجوات على أبعاد منتظمة ، وكانت تزينهـا من الخارج قطع من الأوانى الفخارية الكبيرة يرجح البعض أنهـا ثبتت فى الجدران لحمايتها من الرطوبة ، كذلك كانت تطلى باللون الأحمر كما فى العصر السابق أو باللون الأبيض الذى أخذ يظهر فى بيوت هـذا العصر ـ وقد ظل الموتى يدفنون تحت أرضية المنازل وفى

الوضع المقرفص أيضا ، وزادت كمية الأثاث الجنزى وكثرت التقـــدمات .

ومن أهم الاختراعات فى هذا العصر عجلة الفخار التى ساعدت على خلق كثير من الأشكال فى صناعة الأوانى كذلك أدخلت أنواع



شـكل ٢٤ــ آنية من سيالك ٣

عديدة من الزخارف شكل ٢٤ ـ ونتبين فى رسوم الفخار أنها مرت بثلاثة مراحل : الأولى كانت الكائنات فيها ترسم على حقيقتها ، والثانية رسمت فيها الكائنات بشكل زخرفى مختصر ، أما فى الثالثة فقـد عاد الميل إلى فن الحقيقة من جديد وتمثلت فى المناظر المختلفة الحيوية والحركه إذ يبدو أن الفنان كان يريد أن يعبر بها عن أفكار يرغب فى إبدائهـا للناظر أى أنه كان فى الواقع يمهد للكتابة . وهذه المرحلة ترجع إلى نفس الزمن الذى ظهرت فيه الكتابة فى العراق أنهـــا تعاصر نشأة

الكتابة هناك ـ ولم يقتصر التقدم الفنى على رسوم الفخار بل نجد أن الإنسان صنع من الفخار تماثيل صغيرة تمثل إلهـــة الأمومة وأنواع عديدة من الحيوانات ولعب الأطفال .

وقد تطورت صناعة المعادن فأصبح النحاس يصهر ويصب فى قوالب لعمل الادوات المختلفة وإن كانت الآلات الحجرية ظلت مستعملة كذلك ـ وتعـــددت أدوات الزينة وزاد استخدام الاحجار شبه الكريمة ، ومن المرجح أن اتساع نطاق التجـــارة جعل الصناع يميزون صناعاتهم بعلامات مميزة فاستخدموا ختما من الحجر على شكل مخروط كان في بداية الامر ينقش بزخارف هندسية الشكل ثم وضعت بعد ذلك رموز أخرى من الكائنات الحية والنبـــاتات التى كانت تستوحى من رسوم الفخار .

وكان التقدم واضحاً فى كل مضمار أثناء هذه المرحله الحضارية إذ ارتقت الحياة الاجتماعية حيث انتظمت الجماعات المختلفة فى مدن كبيرة فى مناطق السهول وخاصة فى سوسة حيث ظهرت أول حكومة مدنية فى عيلام ، أما فى المناطق الاخرى من الهضبة فان قلة عدد السكان وتفرقهم فى أماكن متباعدة مما أخر نمو هذه الجماعات فى مدن كبيرة .

وجدير بالذكر أن المراحل الحضارية الثلاثة السابقة لم يكتشف فى أي الأماكن الأثرية بالهضبة ما يمثلها كلها ، فنى جيان (قرب نهاوند)

وتل باكون وسوسة مثلا لم تستقر الحضارة فيها إلا من نهاية عصر سيالك ٢ وبعدها أخذ الفخار الملون ينتشر فى كل أنحاء الهضبة ثم أخـــذت صناعة الفخار والمعادن تخطو فى تقدمها خطوات موحدة تقريبا وإن وجدت مميزات فردية لكل منطقة ، فرغم انتشار الفخار الملون فى تلك الارجاء حتى وصل الى شمال الهند إلا أن كل مصنع كان يميل إلى أشكال معينة ويتأثر بمؤثرات خاصة ، وقد مهد ذلك الى تطور الحضارة فى منطقة عيلام قبل دخولها فى عصرها التاريخى .

فترة التمهيد للعصر التاريخى فى عيلام

أشرنا إلى أن علامات عدم انعدام الوحدة فى صناعة الفخار الملون أخذت تظهر فى النصف الثانى من الألف الرابع قبل الميلاد ثم اختفى هذا الفخار فجأة من سوسة وحل محله فخار أحمر مثل ذلك الذى ظهر فى العراق وهو النوع المعروف باسم « اوروك » ٤ » - وربما يرجع ذلك إلى حدوث نهضة حضارية فى سوسة يبدو أنها كانت متأثرة بحضارة العراق وإن كانت تختلف فى نوع الكتابة التى توصلت إليها حيث وجـــدت فى سوسة - فى تلك الفترة التى ظهرت فيها كتابة جمدة نصر بالعراق - كتابة تعرف باسم « ما قبل العيلامية » .

ولم تكن منطقة سوسة هى المنطقة الوحيدة التى تأثرت بمؤثرات

غربية إذ أن الأبحاث الأثرية أثبتت أن كل السواحل الشمالية للخليج العربى قد تأثرت بها ، كما أن المناطق الجنوبية من إيران ناضلت طول العصور التالية — لهذه الحضارة — دخول المؤثرات الثقافية التى كانت تأتى من العراق ، أما المناطق التى كانت فى غرب الهضبة فلم تعانى ضغطا أجنبيا وظل الفخار الملون مستعملا وبنفس الأساليب القديمة ولكن أضيفت إلى أشكاله وزخارفه القديمة أشكال وعناصر زخرفية جديدة كما يتبين ذلك فى آثار جيان ، ومع هذا فقد أخذ الفخار الملون فى الاختفاء تدريجيا من غرب إيران وحل محله الفخار الأسود أو الرمادى المسود مما يوحى بتسلل عناصر أجنبية إلى المنطقة واندماجهم بالسكان الاصليين فيها ، وتدل شواهد الأحوال على أن تلك العناصر الداخلية — جاءت من التركستان الروسية أو من سهول وسط آسيا البعيدة واستمروا فى تقدمهم غربا حتى وصلوا إلى كبادوشيا Cappadocia بآسيا الصغرى .

ولم ينج وسط إيران من المؤثرات الخارجية فقد وجدت فى سيالك آثار تدل على حدوث حريق وتدمير لبعض المساكن التى تنتمى إلى سيالك ٣ وإقامة مساكن أخرى إختفى الفخار الملون منها وحل محله فخار أحمر أو رمادى يشبه فى أشكاله فخار سوسة ، كما أن الختم الاسطوانى أصبح يستعمل بدلا من الختم المخروطى الذى كان معروفا من قبل ويدلنا هذا على إدخال الكتابة على الألواح الطينية وبالفعل ظهرت الكتابة قبل العيلامية ووجدت آثار كتبت بها مع هذه

الأختام ، ويبدو أن العناصر التى جلبت معها هذه الكتابة « قبل العيلامية » إلى سوسة دخلت أيضا إلى منطقة سيالك فى غزوة وحشية ومن المرجح أنهم كانوا أقوى وأغنى من سكان المنطقة الأصليين فوجود مظاهر حضاريه (من تلك التى أحدثوها فى سوسة) بمنطقة سيالك مع ما صاحبها من آثار تدمير وحريق يشير إلى أن هذه الحضارة قد فرضت بالقوة على غير ما عهدناه فى المنطقه الشماليه (جيان) حيث تسللت إليها العناصر المسالمه التى جلبت معهـا الفخار الأسود والرمادى المسود واندمجت مع السكان الاصليين .

وتتميز منازل هذا العصر بأنها بنيت بعنايه ولو أن أبوابهـا ظلت حقيرة ، وكانت تزود عند مدخلها بموقد مقسم إلى قسمين ـ أحدهما للطعام والآخر للخبز ـ وإلى جانبه إناء للماء ، وقد عثر فيهـا على أثاث متواضع خشن الصنع كانت مفرداته والمؤن المختلفه توضع داخل فجوات مخصصة لها أو تحاط بأسوار أو حواجز حجرية لحمايتها ـ وكان الموتى يدفنون تحت ارضية الحجرات وتوضع معهم مهمات جنزية وتقدمات مختلفه مثل أدوات الزينه والمرايا النحاسيه وأوانى من المرمر وغيرها ، كما أن الموتى أنفسهم كانوا يتزينون بحلى كثيرة منها دلايات من الفضه المطعمه بالأصداف والذهب والـلابس لازولى [1] ودلايات أخرى من الفضه المطروقه وأقراط مزينة بقطع من الذهب واللابس

---

(١) كان التطعيم بتثبيت هذه المواد فى الفضه بواسطه القار Ghirshman, Iran, 48

لازولى بالتبادل وأساور من فضه وعقود طويلة خرزها من أحجار بيضاء ومن الذهب والفضه واللابس لازولى والعقيق ، ويوحى تعدد المواد ورقى الصناعه بأن هذه الحلى صنعت فى سوسه أو فى بلاد العراق حيث عثر على ما يشبهها فى المقابر الملكيه فى أور .

وتنحصر أهميه تلك الحضارة التى وجدت فى سوسه وتوغلت إلى وسط هضبة إيران فى إستخدام الكتابة التى يدل مظهرها على أنهـــا كانت متقدمة عن الكتابة التصويرية البحتة ومع أنها لم تقرؤ بعد إلا أن ما عثر عليه من نصوص كتبت بها يدل على أن هذه عبارة عن أرقام وعمليات حسابية خاصة بشئون تجارية .

ومنطقة سيالك هى الموقع الوحيد الذى وجـــدت فيـه وثائق مكتوبة قبل عصر الأخمينيين [1] فى داخل الهضبه وحيث أن هذه المنطقة قد تأثرت بحضارة عيلام [2] فلابد أن الكتابه والثقافة العيلامية قد انتشرت إليها عن طريق توسع سياسى عيلامى ويحتمل أنها كانت لخدمة أغراض تجارية حيث ظلت قائمة طوال المدة التى بقيت فيها مراكز تجارية عيلامية فى وسط الهضبة ثم اختفت بعد زوالها .

---

(١) منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد سادت إيران ثلاث عناصر هندوأوربيه فقد حكمها أولا الايرانيون الميديون ثم الأخمنيون الذين كونوا إمبراطوريه واسعه تنازعت مع اليونان على السيادة على العالم القديم إلى أن قضى عليها الإسكندر الأكبر .

(٢) أنظر أعلاه ص ٩٦ — ٩٩

الحضارة الفعالة فى مصر وبلاد النهرين وآسيا الصغرى جعلته يتأثر بتلك الدول القوية وحضاراتها .

(٣) وجود المناطق الصحراوية فى شرق الإقليم وجنوبه جعله المطمع الدائم للبدو من سكان هذه الأقاليم ولذا كان صراع سكانه ضد تلك العناصر مستمرا .

ولا شك فى أن هذه العوامل كان لها أيضا أكبر الأثر فى الحضارات التى سادته قبل عصوره التاريخيه وسنتتبعها على النحو التالى :ـ

العصر الحجرى القديم

العصر الحجرى القديم الاسفل : وجدت آثار حضاراته (التى تشبه مثيلاتها فى جهات العالم الأخرى) فى كهوف عدلون (بين صيدا وصور) وفى الكرمل وأم قطفة (شمال غرب البحر الميت) والزطية (شمال غرب بحيرة طبرية) ورأس شمرا (أوجاريت) ـ ولم يعثر على بقايا بشرية تمثل سكان هذا العصر [١]

العصر الحجرى القديم الاوسط : عثر على آثاره فى كهفين بجبل الكرمل وكهف فى جنوب الناصرة وكهف آخر فى شمال غرب

(١) أنظر مع ذلك فيليب حتى « تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ص ٥ .

طبرية ، وقد عثر فى بعض هذه الكهوف على بقايا بشرية تبين أن إنسان هذا العصر كان خليطا من السلالات التى تمثل إنسان نياندرثال وأنواع أرقى منه تكاد تشبه الإنسان الحديث ـ ومن المحتمل أن الإنسان كان فى هذا العصر يأكل اللحوم البشرية كما يستدل على ذلك من بقايا العظام البشرية التى وجدت وقد استخرجت مادتها النخاعية [١] .

العصر الحجرى القديم الاعلى : وجدت آثاره فى كهوف أنطلياس ونهر الكلب وفى كهف بالقرب من طبرية حيث عثر فيها ـ فضلا عن الأدوات الميكروليثية ـ على بقايا هيا كل عظمية لأنواع مختلفة من الحيوانات مثل الكركدون والضبع والثعلب والماعز والغزلان (وهذه الأخيرة كانت أكثرها) كما عثر على بعض بقايا انسانية ، ومن المحتمل أن الانسان ـ فى هذه المرحلة ـ توصل إلى معرفة النار واستخدامها فى الطهى .

العصر الحجرى المتوسط

تمثل هذا العصر فى ذلك الاقليم حضارة تعرف باسم الحضارة الناطوفية [٢] (نسبة إلى وادى النطوف

(١) أنظر نفس المرجع السابق ص ١١

(٢) Dorothy A.E. Garrod & D.M.A. Bates "The Stone Age of Mount Carmel," Vol 1 (Oxford, 1937) pp.114,135,175-7; D. A. E. Garrod, " A New Mesolithic Industry: The Natufianof Palestine", in the Journal of the Royal Instiute of Great Britain, vol. LXII (1932), pp. 267 ff.

شمال غربى القدس) ، وفيها ظلت الأدوات الميكروليثية مستعملة فيه ولكن بعض الحيوانات أخذت فى الاختفاء نظرا لتغيير الظروف المناخية - ويستدل من بقايا إنسان هذا العصر على أنه كان قصير القامة مستديرة الرأس ، ويرجح أنه عرف استئناس الحيوان وبدأ المرحلة البدائية فى الزراعة وإن كان هذا لا يستند إلى دليل قوى حتى الآن . وقد اتخذ الانسان فى هذا العصر منازل عبارة عن أكواخ من الطين أو اللبن عثر على أقدم بقايا لها فى أريحا وتل الجديدة (شمال سوريا) ورأس شمرا ويتغالى بعض المؤرخين تبعا لذلك فيعتبر سورية المركز الحضارى الرئيسى فى الشرق الأدنى بأسره وهو ما لا يتفق مع وجود الحضارات العظيمة فى مصر والعراق .

وربما أخذ الإنسان ابتداء من ذلك العصر يجد متسعا للتأمل والتفكير فهداه هذا إلى نوع من العقيده بدليل العثور على بعض أوانى الطعام والتقدمات فى أماكن الدفن ، كما أنه أخذ ينمى ملكته الفنية حيث أصبح يحاول محاكاة ما حوله من أنواع الكائنات بحفرها على العظم أو الحجر فقد عثر على قطعة من العظم فى هيئة غزال كما وجدت بعض الأدوات فى أشكال تمثل صور بعض الحيوانات الداجنة .

ويتمثل العصر الحجرى الحديث وما بعده (بداية استخدام المعادن) إلى العصر التاريخى فى عدة مواقع فى سوريا وفلسطين وقد اصطلح

كثير من الآثريين على اتخاذ منطقة العمق فى سوريا نموذجا للحضارات التى شاعت فى تلك الفترة نظراً لأن تلالها الكثيرة بطبقاتها المختلفة تحوى آثارا لكل من هذه الحضارات ويقابل هذه المنطقة فى فلسطين منطقتى جريكو وتل الغسولية على التوالى .

آثار الحجرى الحديث

عثر على آثاره فى مواقع تل الجديدة وساكجى جوزى (فى أقصى شمال سوريا) ومرسين فى كيليكيا وهى تقابل طبقتى العمق ا ، ب فى سوريا وجريكو ٩،١٠ فى فلسطين ، ويمكن أن نعدها نظائر لحضارات تلى حسونة بالعراق وسيالك « ا » بإيران وبداية البدارى فى مصر وهى تمثل مرحلة إستقرار بالمعنى الصحيح فقد عثر منها على بعض الفؤوس والمناجل الحجرية التى لا شك فى أنها استخدمت فى الزراعة ، كما عثر فيها على أجران ومخازن - ومن أهم ما عثر عليه كذلك أوانى فخارية ربما كانت متأثره فى صناعتها بما كان سائدا فى سامراء وإن كان البعض يميل إلى نسبتها إلى حضارة حلف [١].

عصر بداية استخدام المعادن (عصر النحاس والحجر)

يتمثل فى أوجاريت وقرقيش وفى جزروتل الغسول وفى الطبقة جـ

(١) فيليب حتى « تاريخ سوريه ... (المترجم) » ص ٦٥

بمنطقة العمق وفى جريكو ٨ . (وهى تقابل تقريبـــاً حضارة حلف بالعراق والجزء المتأخر من حضارة البدارى) ، وقد عثر فيها على منازل من اللبن أساساتها من الحجر الغشيم (غير المهذب) ، وكان الأطفال يدفنون عادة فى جرار تحت أرض المنزل أما البالغون فكان بعضهم يحرق والبعض يدفن فى جرار على هيئـة الجنين [١] ، ومن المحتمل أن تحصينات المدن بدأت من هذا العصر ـ وكانت الزراعة تعتمد على الرعى واستخدام الحيوان كالثور (الذى يرجح أنه قدس) والماعز والغنم ، وكان الحمام يقرن عادة بالإلهـة الأم ـ وفى هـــذا العهد كانت تغلب على السكان صفات جنس البحر الأبيض المتوسط فى الجنوب أما فى الشمال فيغلب أنهم كانوا من الأرمنيين .

عصور ما قبل الأسرات

تتمثل فى أريحا ومجدل (تل المتسلم) والعفولة وبيت شـــان (بيسان) وأوجاريت وبيلوس وهى تقابل طبقات العمق د ، هـ ، و فى سوريا والغسولية وعصر البرونز الأول فى فلسطين ـ ويبـدو أن سوريا خلال هذه المرحلة كانت فى حضارتها تسـاير حضارات مصر والعراق المناظرة لها وخاصة فى الجزء الاخير من عصر ما قبل الأسرات

(١) C. Leonard Woolley, " Hittite Burial Custems " in The Annals of Archaeology and Anthropo - logy, University of Liverpool, VI (1914) p. 88

فى مصر وقبيــل الكتابة فى العراق أى حضارتى سماينة وجمــدة نصر على التوالى ، ومن المحتمل أن الصلات التجارية والحضارية قد نشطت فى هـذا العصر كما أن الحضارة السورية قـد تطورت خلاله إذ نجــد أن الفخار صنع بالعجلة واستخدم اللبن فى البناء وكانت الجـدران المطليـة بلون أبيض تزين برسوم تمثل بعض الأشخاص والآلهة ، وقد توصل أهل هذا العصر إلى صب المعادن حيث عثر فى تل الجديدة على تماثيل نحـاسية صغيرة مصبوبة ، ويتجلى التطور الفنى بصورة واضحة كذلك فى زخرفة الأوانى بطلاء زجاجى .

آسيـا الصغرى

تتعدد أنواع المنـاخ التى تسود أجزاء هضبة الأناضول المختلفة إلى درجة تدعو إلى الإعتقاد بأن من الممكن أن يجــد كل من الإنجليزى والأفريقى والسويسرى والروسى وغيرهم نوع المناخ الملائم له ـ فهضبة أرمينيا التى يصل ارتفاع جبال أرارات فيها إلى ١٧ ألف قدم هى فى الواقع امتداد لسلسلة جبال البرز التى تحد هضبة إيران شمـالا وتطل على بحر قزوين ، وتنتهى هضبة أرمينيا إلى خطوط تقسيم مياه الفرات التى تعتبر الحدود الطبيعية لهضبة الاناضول بالمعنى الصحيح . ومن هنا تبدأ سلسلتان جبليتان إحداهما تتجه إلى الشمال الشرق والثانية إلى الجنوب الغربى وتمتد كلتاهما ، فيحـازى امتداد إحـداهما ساحـل البحر الأسود ويتجـه امتـداد الأخرى إلى البحر

المتوسط وبذلك يحصران فيها بينهما الهضبة الوسطى المرتفعة غير أن طرفيها يدوران إلى الداخل بحيث يخيل إلينا أنهما تستديران . ففى الشمال يدور طرف السلسله التى توازى ساحل البحر الاسود إلى ما يعرف باسم القوس البونتى Pontic Arc الذى لا يتخلله إلا بعض الاخاديد العميقة تمر فيها مياه الانهار إلى البحر . أما السلاسل المقابلة لها فى الجنوب وهى طوروس فتنحدر إلى سهول قيلقيا ـ والهضبة فيما بين هاتين السلسلتين حديثى التكوين أشبه بحوض متوسط وهى ترتكز على صخور قديمة تكاد تكون فى طبقات أفقية ، وفى غرب هذا الحوض الأوسط نجد عدة بحيرات وأنهار يصعب انحدارها الى البحر لأن شبه الجزيرة تنتهى بسلاسل جبلية متوازية تمتد نحو بحر إيجة ، وهى تعـد امتدادا للسلاسل الموجودة فى بلاد اليونان ، ويعزى اختلاف المنـاخ وتباينه بين اجزاء الأناضول المختلفة إلى اختلاف التضاريس إذ يشتد الاختلاف فى درجة الحرارة بين السهول المنخفضة والجبال المرتفعة ،

فمن الناحية المنـاخية يبدو أن الهضبة لم تكن مغرية للسكنى فى الألف الرابع قبل الميلاد وعلى هـذا لاشك فى أن القرويين الذين عرفوا الزراعـة والاستقرار لم يكونوا هم أول من غامر بسكنى الهضبة وكانت لديهم الشجاعة على تحمل شتائها الطويل أى لابد أنهم وفدوا إليها من الخارج ـ وإذا ما حاولنـا أن نتعرف على الموطن الأصلى الذى جاء منه هؤلاء لوجدنا ان الأدلة الأثرية تعوزنا فى هذا

السبيل ، ولكن التأمل فى الظروف المحيطة بالهضبة تجعلنا نستبعد قدومهم من المناطق الجنوبية البعيدة لأن سكان هـــذه الجهات كانوا قد تحولوا من البداوة إلى حياة الزراعة والاستقرار وليس من اليسير أن ينتقلوا إلى قيليقيا وأحواض الأنهار العليا فى الهلال الخصيب ومنها إلى داخل هضبـــة الأناضول ، ومن المعقول أن نتصور بأن أولئك الوافدين هاجروا إلى الأناضول من القوقاز أو من منطقة بحر قزوين حيث وصلت فى نفس الوقت هجرة أخرى من عنصر جنسى مخالف (ولكنه كان يعيش فى ظروف مشابهة تقريبا) إلى المناطق التى تحف ببحر إيجه من الغرب وقد عاش هؤلاء الاخيرين مع السكان الاصليين ـ الذين سبقوهم إلى تلك الجهات ـ فى وئام تام فترة طويلة .

ويجب أن نلاحظ بأن آثار أماكن الإقامة أثناء العصر الحجرى القديم فى آسيا الصغرى كما فى الجهات الجبلية الاخرى . التى تحف بالهلال الخصيب فى فلسطين وكردستان العراقية وايران توجد فى كل من الكهوف والعراء ...

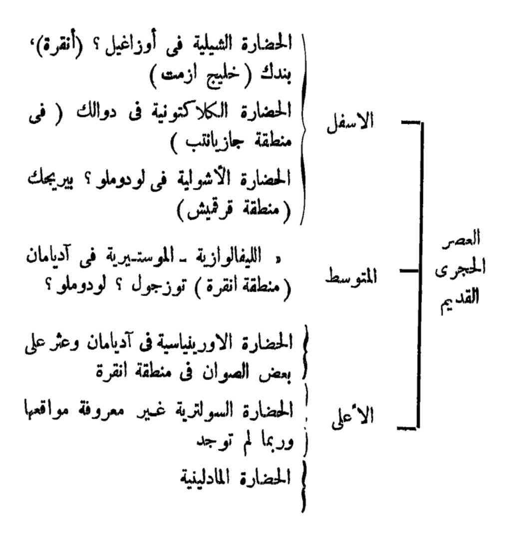
أما العصر الحجرى الحديث الذى يرجح أنه كان فى الألف الخامس قبل الميلاد فتتمثل آثاره فى أعمق الطبقات فى بعض البقـــاع مثل مرسين وطرسوس وساكجى جوزى التى تحتل مواقع جغرافية تجعل ظروفها مشابهة لتلك المواقع التى وجدت فى الهلال الخصيب

وعلى ذلك يمكن أن تعد الامتداد الشمالى لها ولذا ألحقناها بها على أعتبار أنها أقرب الجهات اليها .

العصر الحجرى القديم

ظل البحث عن آثار العصر الحجرى القديم ابتداء من سنة ١٨٨٤ إلى بداية الحرب العالمية الثانية يتم بطريقة غير منظمة . وعلى أسس غير علمية وعلى ذلك فان أى خريطة لتوزيع ما عثر عليه من آثار ذلك العصر تعطى نتائج خاطئة لانها مركزة فى المناطق التى يكثر ارتيادها لسبب أو لآخر ومن بين الجهات التى وجدت فيها تلك الآثار قرقميش وملاطيا وحول العاصمة الحديثة أنقرة وقد تغير ذلك بعد افتتاح معهد الدراسات البشرية التابع لجامعة أنقرة سنة ١٩٣٦ ، ومنذ ذلك الحين تقدمت الابحاث الأثرية . وتتلخص نتائجها المعروفة كما يلى : ـ (١)

(1) Seton Lloyd, " Early Anatolia ", (Pelican 1956), pp 51-2 .



ومن الممكن تبعا لذلك أن نستنتج بأن أماكن إقامة الإنسان وجدت فى الأناضول منذ بداية العصر الحجرى القديم وسوف نرى بان آديامان (Adiyaman) فى حوض الفرات الاعلى بالقرب من ملاطيا (Malatya) لها أهمية خاصة إذ أنها تبين استمرار استقرار الجماعات البشرية خلال فترات متعاقبة كذلك تعتبر ذات أهمية خاصة لأنها تمثل حلقة الاتصال الأولى بين الاقليم السورى من جهة وبين ما وجد من حضارات فى كردستان والقوقاز من جهة أخرى .

ويجب أن لايغيب عن الذهن أن الدلائل الأثرية التى اعتمد عليها الباحثون حتى الآن تتكون فى معظمها من مجموعات متفرقة من المخلفات السطحية (الآثار التى وجـــدت على سطح الارض) ومن الآثار التى اكتشفت غير منتظمة فى طبقات ، أما النتائج التى ينتظر فى الوقت الحـــالى أن نتوصل إليها على أسس سليمة فهى تلك المترتبة على الاكتشافات التى قام بها كوكتن (K. Kokten) فى كهف يسمى كارين (Karain) بالقرب من أنطاليا (Antalya) حيث وجدت آثار الحضارات الأشولية ونهاية الأشولية (Micoquian) والموستيرية والأورنياسية متتابعة فى طبقات ـ كما عثر كوكتن كذلك على آثار لبعض حفريات حيوانات فقرية أهمها دب الكهوف (Wrsus Spelaeus) وأسد الكهوف (Felis spelaeus) ، ومن بين البقايا الأخرى التى عثر عليها فى نفس الكهف أمكن التعرف على سنة من أسنان طفل من جنس نياندرثال .

العصر الحجرى الحديث

بدأ سلوك الإنسان يتغير حتى أصبح يطلق على هذا العصر الجديد أسم ثورة العصر الحجرى الحديث حيث بدأ الإنسان فى استئناس الحيوان وعرف الزراعة المنظمة وكان هذان كافيان لأن يغيرا من نظام حياته تغيرا شاملا ، ولحسن الحظ فأن ما خلفه انســـان ذلك العصر من آثار كان من المواد التى يمكنها الاحتمال وبقاؤها إلى

اليوم يمدنا بالدليل الذى يمكن أن نتعرف به على مميزات هذا العصر، وأول هذه الآثار أهمية تلك الأوانى الصلصالية اليسيرة النقل من مكان إلى مكان والتى أصبحت من المستلزمات التى لاغنى عنها فى حياة الانسان وكان تشكيلها وزخرفتها هو الذى وجه الاهتمام إلى الاحتفاظ فيها برسوم



شكل ٢٥ – أوانى وأدوات من مرسين (عصر حجرى حديث)

تقليدية (أنظر شكل ٢٥) وفى هذا العصر استحدثت أنواع من الآلات الحجرية لتقابل مطالب الحياة الجديدة وكانت الأسلحة الصوانية – ومن بينها السكاكين وأسنان المناشير ومخارز ثقب الجلود – أكثر هذه الآلات شيوعا فى آسيا الصغرى ، وقد عثر على نماذج كثيرة منها إلى جوار البحيرة الملحة فى الهضبة الوسطى ويغلب على الظن أن هذه الآلات كان يجلبها التجار الذين وفدوا للبحث عن الملح ، وإذا كان الامر كذلك فلابد وأنهم جاءوا من أماكن بعيدة لأن أقرب مراكز الاستقرار – مرسين وساكجى جوزى – تبعد نحو ٣٠٠ ميل إلى الجنوب وراء منطقة الجبال .

ويبدو أن ثورة العصر الحجرى الحديث كانت قاصرة على منطقة تحددها سلاسل طوروس والسفوح المطلة على سهول سوريا، والتفسير الوحيد الذى يقال أحيانا هو أن تلك المناطق كانت موطن نمو الحبوب التى كان يعتمد عليها الاقتصاد الزراعى المترتب على تلك الحياة ، ولكن نظرا لأن القمح والشعير (اللذان تطورا عن الحشائش الطبيعية وعرفا فى ذلك الوقت) كانا ينموان أيضا فى مناطق أخرى مثل القوقاز ولا بد أن انعدامها فى هضبة الأناضول كان يرجع إلى ظروفهـــا المناخية ، فلا شك إذا فى أن الظروف المناخية هى السبب المعقول الذى جعل إنسان العصر الحجرى الحديث يحتمى وراء حدود معينة .

وبالطبع لا تقتصر معلوماتنـا عن العصر الحجرى الحديث فى الشرق الاوسط على الاكتشافات التى تتم داخل الحدود التركية .. ففى حسونة مثلا فى شمال العراق يمكن تتبع الإنتقال من حياة البداوة (التى تعتمد على جمع الطعام) إلى المجتمعات الريفية (التى عرفت الزراعة) مرحلة مرحلة فى كثير من التفصيل وبصورة واضحة دقيقة — وقد عثر حديثاً فى جريكو بفلسطين على أثار تدل على بدء انتقال مثل تلك الجماعات إلى حيـــاة الاستقرار فهى تدل على أن بقعة الاستقرار كانت محاطة بحائط خارجى وقد اتبعت فيها وسائل بناء بدائية ترجع إلى الفترة التى سبقت أختراع الفخار ، وكذلك عثر على بقعة مماثلة فى جارمو فى كردستان العراقية وإن كان من المحتمل

أنها تمثل مرحلة أسبق من تلك التى عرفت فى جريكو ، وقـــد أكدت حفائر جارستانج Gorstang [1] التى قام بها فى تركيا - بأن حضارة العصر الحجرى الحديث إذ ما وجدت فى بقعة ما فإنها تستمر فى تطورها دون انقطاع على أنه من الممكن أن نميز بينهـــا وبين حضارات عصر بداية استخدام المعادن (التالية لها) بمميزات واضحة - ويتضح هذا بصفة خاصة فى مرسين حيث وجـــدت آثار منطقة السكنى فى ثمانية أمتار من الرديم بها ثمانية طبقات متعاقبة من المبانى - ومع أن منطقة صغيرة هى التى اكتشفت فى كل من مرسين وساكجى جوزى إلا أن الآثار التى أكتشفت فيها تمدنا بكمية من الفخار والادوات الصوانية وأشياء أخرى صغـــيرة تمكننا من تكوين فكرة كافية عن النماذج التى سادت فى تلك الفترات .

عصر بداية استخدام المعادن

(استخدام الحجر والمعدن)

تتضح بداية عصر استخدام الحجر والمعـدن من الناحية الأثرية بواسطة عدد من المستحدثات التى كان لها أثرها بالطبع فى زيادة وتنويع أساليب الحياة التى كانت قائمة بالفعل ولكنها لم تحدث تطورا ثوريا أى أن الإنسان ظل يتدرج فى استعمال الحجر والمعدن فتره

---

(1) Seton Lloyd, op. cit., 54

طويلة يحتمل أنهـا استغرقت الجزء الأعظم من الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد ، فاستخدامهما بناء على ذلك لا يمثل مرحلة واحدة فحسب بل عددا من مراحل التطور الحضارى - وحينما بلغت حضارة هذا العصر منتهاها كان الانسان يعيش فى مدن محصنة بها معابد وقصور ويشرع قوانينه ويكيف حياته حسب حاجياته ، وإذا افترضنا أنه لم يصل إلى هذا المستوى الحضارى فى الأناضول فإن من الثابت أنه فى العراق - على الأقل - استطاع أن يتقن فن الكتابة وأن يترك للخلف أقدم الوثائق التى - لا تقبل الشك - عن آرائه وأعماله ، أى أن حضارات العصر الحجرى الحديث التى تتفق فى مظاهرها مع المظاهر السائدة بين معظم الشعوب البدائية المتوحشة فى العالم الآن كانت حينئذ قد نسيت فى العراق منذ زمن طويل .

وقد درست آثار عصر استخـــدام الحجر والمعدن بكثير من التفصيل خلال العشرين سنة التى تلت الحرب العالمية الأولى عن طريق عمليات التنقيب المتوالية التى تم معظمها فى العراق حيث عثر فى « حسونة » على مخلفات قرية بنيت مساكنها من الطمى بعد أكواخ العصر الحجرى الحديث كما عثر فى أربجية على قرية أخرى بها معابد دائرية ترجع إلى عصر « حلف » وتدل أقـدم الآثار المعمارية التى ترجع إلى حضارة العبيد فى تبة جوارا (Jawara) وأريدو - هى والتغيرات التى حدثت فى الفخار على دخول عناصر جديدة لوحظت فى أوروك (١) ، كذلك تدل الآثار التى كشف عنها فى بضعة مواقع

أخرى عن التقدم الثقافى الهائل الذى تلى هذه المراحل كلها وجميعها تبين مراحل تطور فى السلم الحضارى ـ ولما وجدت مخلفات هذه العصور التى أصبحت مألوفة الآن فى شمال سوريا ثم فى طرسوس ومرسين خلف الحدود التركية كانت أهميتها بالغة لأنها تدل على عظم امتداد منطقة استخدام الحجر والمعدن نحو الغرب والشمال .

ولا يقل أهمية عن ذلك ما نلاحظه من تباين بين الحضارات المحلية التى توجد فى المناطق المجاورة لها ، فهذه الحضارات كانت مختلطة فى مراحلها الأخيرة مع عناصر دخيلة جاءت من أجزاء أخرى من العالم يمكن ربط تاريخها بتاريخ العراق الذى يمكن الاعتماد عليه ، وبهذه الوسيلة يمكن احتساب أقدمية المخلفات التى عثر عليها من عصور ما قبل التاريخ فى مواقع بعيدة قد تصل إلى حوض الدانوب الأدنى ـ ومع هذا فإن الجهات الداخلية من الأناضول ظلت مناطق مجهولة بالنسبة لأهل حضارة استخدام الحجر والمعدن ولم يتنبهوا اليها إلا فى أواخر هذا العهد .

أما فى مرسين فإن جارستانج (Garstang) [٢] عثر على مخلفات من هذا العصر أمكنه أن يقسمها إلى ثلاثة مراحل : قديمة ووسطى ومتأخرة وتتفق أقدم مراكز الاستقرار داخل هضبة الأناضول فى تاريخها ـ إن لم يكن فى كثير من مظاهرها أيضا ـ مع هذه المرحلة

---

(١) أنظر أعلاه ص ٧٦ ومابعدها .

(2) J. Garstang, " Prehistoric Mersin ". (Oxford - 1952) .

الأخيرة ، وعلى هذا ينبغى أن نستنتج بأن شيئا شبيها بالحاجز (المناخى ؟) الذى ساد فى العصر الحجرى الحديث ظل قائما إلى نهاية المرحلة الوسطى من عصر استخدام الحجر والمعدن (التى تتفق مع عصر حضارة العبيد فى بلاد العراق) مما أدى إلى بقاء الأناضول غير آهلة بالسكان حتى ذلك الحين .

وعن طريق الإكتشافات الحديثة ومعرفة مظاهر السطح أمكن تحديد خطوط هذا الحاجز ، فمن خريطة تبين الحدود الجنوبية لتركيا نجد أن هذا الحاجز يتمشى بدقة مدهشة مع خط كونتور (ارتفاع) المنحدرات الجنوبية للجبال التى ترتفع ألفى قدم أو أكثر ، ولذا فإن هذا الحاجز - مع أنه يتجه من الشرق إلى الغرب تقريبا - إلا أنه يسير فى طريق غير منتظم تتخلله فجوات عميقة تخترقها بعض الممرات مثل وديان الدجلة والفرات التى تخترق الأراضى المرتفعة وتمتد شمالا فى سهول قيليقيا .

أقدم مراكز الاستقرار فى الهضبة

هذا هو الموقف فى الوقت الذى يمكن أن نقول بأنه أقدم العهود التى يتناولها علم الآثار - بالبحث داخل هضبة الأناضول . فى وقت ما من القرون الأخيرة للألف الرابع قبل الميلاد كانت الجهات الواقعة إلى شمال الحاجز القديم قد عرفت وأصبح فى الامكان أن يسكنها شعب زراعى وبدأت المحلات الزراعية تظهر فى الهضبة نفسها وفى

الإقليم الإيجى فى الغرب ، ولذا تواجهنا مشكلة معرفة الاتجاه الذى جاء منه المستوطنون الأول وموطنهم الأصلى ومع الأسف لا نستطيع حتى الآن استنتاج ذلك اعتمادا على براهين مؤكدة .

وما زالت المعلومات التى أمكن الوصول اليهـــا عن هؤلاء الأناضوليين الأوائل ضئيلة للغاية وغير كافية لأنها جاءت عن طريق الإكتشافات التى تمت فى مواقع قليلة ، ومعظم هذه الاكتشافات لا تخرج عن كونها مجسات طبقية فى أماكن قليلة أو أشياء وجدت على سطح الأرض فى أماكن أخرى ، ومع هذا يمكن القول بأنها تغطى مساحة جغرافية لا بأس بها إذ أنها تمتد من أقصى الغرب إلى حدود إيران ولو أنها فى أول الأمر لم تخرج عن كونها سلسلة من الاكتشافات المتفرقة التى أمدتنـا بمخلفـات تتميز فى كل موقع أو مجموعة من المواقع المتجاورة عما عداها ولم يمكن معرفة أنها ترجع إلى عصر استخدام الحجر والمعدن إلا عن طريق أدلة الطبقات فقط ، ومن أمثلة ذلك ما يشاهد من اختلافات بين المخلفات التى عثر عليها فى كل من على شهر وأزجوق بالقرب من سمسون ودنداراتبه وبيوق جلوجك بالقرب من الأجا وطرواده وكوم تبـــه وغـــيرها — ومع أن كل هذه تتميز فى صفات معينة عن الآخرين إلا أن هذه الصفات الخاصة ترجع — دون شك — الى اختـلاف المظاهر الجغرافيـة التى كانت تميز تلك البيئات المختلفة ، ويرى البعض أن من المحتمـل وجود صلة بين الأناضول والبلاد التى تحف ببحر إيجه وامتدادها

شمالا حتى حوض نهر الدانوب ، ويؤكد وجهة نظرهم هـذه ما يرى من تشابه بين أشكال الفخار التى اكتشفت حـديثا فى بقعة تعرف باسم فكيرتيه Fikirtepe (على الشاطىء الآسيوى للبسفـــور) مع فخار جاوجك مما يساعد على تحديد اتجاه حركة الاستيطان الأولى فى الهضبة - ومن الغريب أن المخلفات الأثرية فى الأناضول لا تدل على أى نوع من الصلات التى تربطها بمخلفات الحضارة التى تطورت عن حضارة العصر الحجرى الحديث فيما وراء الحاجز الجنوبى وعلى هـذا نستبعد كليـة احتمال استيطان هضبة الأناضول عن طريق انتشار سكان تلك الجهـات الجنوبية إلى الشمال ، والواقع أن أول الاتصالات الملحوظة بين هـــؤلاء وبين جيرانهم فى الأناضول يرجع إلى وقت تكوين أول محلة فى طرواده (١) .

عصر البرونز القديم

يشمل هذا العصر الجزء الأكبر من الألف الثالث قبـل الميلاد واليه ترجع أول محلة فى طرواده (٢) وأقصى غرب اسيا الصغرى وقيليقيا بينما تتفق بداية استخدام النحاس فى هضبة الأناضول نفسها وتاريخ

---

(١) Seton Lloyd, op. cit., 95 - 61

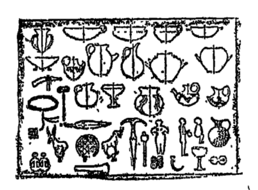
(٢) C' W. Belegen, " Troy " , General Introduction. The First and Sscond Settlements. 2vols. (Prince - ton 1950) .

المحلة الثانية فى طرواده ولذا فأن من المستحسن أن يطلق اسم عصر النحاس عند الكلام على الأناضول نفسها .

وقد وصفنا عدم الترابط والتفرق فى محلات عصر استخدام الحجر والمعدن واستنتجنا أن تنوع أصلها وظروفها هو سبب تفاوت مخلفاتها ويبدو أن المجتمعات التى عاشت فى تلك المحلات ـ فى فترة لا يمكن تحديدها من القرون الأولى فى الألف الثالث قبل الميلاد ـ امتزجت مع بعضها البعض وانصهرت فى وحدة بشرية جديدة لا تحمل إلا شبها بسيطا لأى عنصر من العناصر التى دخلت فى تكوينها ويمكن أن نشبه ذلك (بشيء من التجاوز) بالحالة التى حدثت فى أمريكا الآن أى بعد الجيل الثالث أو الرابع لبدء الهجرة إليها ، وعلى أى حال لم يحدث ما يحول دون تطور تلك الجماعات فى هدوء إذ أنهم ظلوا مثلين لمدة سبعة أو ثمانية قرون فى كل قرية أو مدينة تجارية (من سقاريه إلى الفرات ومن البحر الأسود إلى سلاسل طوروس التى تكون حافة الهضبة) وكانوا يعيشون فى نفس المنازل مستعملين لنفس الأدوات ومفضلين لنفس الأشكال فى فخارهم ، وكانت ظروف ومعدات حياتهم الزراعية معروفة من بضعة المحلات التى تم اكتشافها فلم يلاحظ فى معظمها إلا تغير طفيف فى حالات شاذة ، وهو يدل على حدوث اضطراب نتيجة هجرة قوية أحدثت مثل هذه التغيرات الضئيلة فى الصناعات التقليدية ، ومع ذلك فإن المظهر العام لحياتهم ظل كما هو إلى ما بعد الألف الثالث قبل الميلاد .

وتشابه حياة هذه الجماعات واستمرارها على نفس الوتيرة يؤكد انعدام مظاهر التقدم فى مخلفاتهم بصورة تكاد تكون مطلقة ، والواقع أن الدليل الذى يبدو من هذه المحلات هو الوحيد الذى يمكن أن نحكم به على حضارات عصر استخدام النحاس فى الأناضول ولا يمكن بأى حال أن نقارن بينهما وبين ما وصلت إليه الحضارة فى بقية أقطار الشرق الأدنى القديم فمصر مثلا كانت تعيش فى عهد الدولة القديمة وهو من أزهى عهودها التاريخية .

وقد اكتشفت فى الاجاهويوك (١) مقابر من عصر النحاس كان لاكتشافها أكبر الأثر فى إماطة اللثام عن كثير من خصائص هذا العصر حيث يدهشنا ما وصل إليه هؤلاء الناس فى تفكيرهم وذوقهم كما يبدو ذلك من مخلفاتهم (شكل ٢٦).



شكل ٢٦ ـ أوانى وأدوات من ألاجا (عصر البرونز القديم)

وإذا ما نظرنا إلى التغيرات الثانوية التى حدثت خلال

(١) H. Z. kozay, „ Alacahôyuk „
(Guide in English. Ankare 1663)

عصر النحاس فى المناطق الفسيحة الممتدة خارج الهضبه نفسها فأهم منطقة يتجه اليها تفكيرنا هى المنطقة المطلة على بحر إيجه إذ يبدو أنها قد فصلت نفسها من الناحية الثقافية عن الهضبة فى الوقت الذى تأسست فيه أول محلة فى طرواده تقريبا أى (حسب رأى بعض المؤرخين) بعد بداية الألف الثالث قبل الميـــلاد ـ وقد سبق أن ذكرنا أن محلة طرواده هـذه تعاصر المحلات التى ترجع إلى آخر عصر استعمال الحجر والمعدن بداخل الهضبة فى الشرق ، وقد نشأت المحلة الثانية فى طرواده مع بداية عصر النحاس فى داخل الهضبة[1] ـ والواقع أن قليـلا من الأدلة الأثرية هى التى تربط بين المنطقتين فى هذا العصر السحيق بحيث يصعب ايجاد صلة بينهما ، أما الأدلة على ارتباط طرواده الأولى بأقليم بحر إيجه فهى متعددة وكافيـة لأن تؤيد وجود صلة بينهما .

وعلى ذلك فان الطبقات الأثرية فى طرواده ابتداء من الطبقة الثانية إلى الطبقة الخامسة هى وحدها التى تمثل عصر النحاس وتستخدم كنماذج رئيسية لهذا العصر عن كل المنطقه المحيطة ببحر إيجه ، والأدلة التى تتتبعها هنا لا تخرج عن مجرد مخلفات بدائية تشير إلى اقتصاد زراعى متواضع ، وفضلا عن ذلك توجـد بعض مخلفات قليـلة متفرقة تدل على غنى عظيم يوحى بوجود مستوى أعلى للحياة بين الطبقات العليا وهـذه المخلفات تتمثل فى وجود بعض حلى من الذهب والفضة عثر عليها

---

(١) أنظر أعلاه ص ١٢١

شليمان (Shliemann) فى الطبقة الثانية من حفائره فى طرواده،
على أن هذا الغنى الذى تمثل فى طرواده كما تمثل فى ألاجا « Alaja »
حدث فى فترة انتهت بانهيار عظيم وتبعهـــا فى كلتا الحالتين تغيرات
واضحة فى العادات وفى أذواق السكان ـ ويبدو أن هذه الطبقة الثانية
فى طراوده انتهت بحريق عظيم إلى درجة أن ترك طبقة عميقة من
الرديم المحترق والرماد فوق المساحة المسكونة كلها ـ وقد حطمت بالمثل
كذلك مدينة ألاجا بواسطة النيران التى توجد آثارها بعد آخر دفنة
بها ، بل ويوجد من الأسباب ما يدعو إلى التفكير بأن هذين
الحريقين قد حدثا فى وقت واحد وأنهما يرجعان إلى قرب نهاية
القرن ٢٤ ق. م.

وفيما عدا هذه الحقائق لا يوجد من التشابه بين الحضارة التى
سادت منطقة إيجه وتلك التى كانت داخل الهضبة الا مظاهر ضئيلة
أخذت تختفى بعد ذلك ، فقد وجدت فى الصناعات المعدنية أثناء
عصر النحاس طـــرز مشتركة فى الأدوات وفى بعض المظاهر
الزخرفية الصغيرة بكل من المنطقتين تكاد تكون من الكثرة بحيث توحى
باحتمال الوصول الى مراحل متشابهة فى تطور نوع معين من الصناعة
فى الشرق الأدنى ، ولا يتمثل ذلك فى الفخار الا فى أشكال فردية
يمكن أن تستخدم فى المقارنة التاريخية بين المنطقتين أما بقية الأشكال
فإن تناقضها لا التشابه فيما بينها هو الذى يجب أن يدرس فى أماكن
مثل كوسورا (Kusura) ودمركى هيوك (Demirci Huyuk)
لنتبين مدى تأثير كل من الثقافتين فى هذه الأماكن .

أما المنطقة الاخرى الهامة التى يجب أن نشير اليها فهى قيليقيا ، وهى مثل الإقليم الإيجى ومن ورائه أوربا - تتجه نحو الجزر - وعلى هذا كان مصير قيليقيا يشكل فى أغلب الأحيان تبعا لسهولة الاتصال بها من جهة سوريا ، ففى المراحل الأخيرة من عصر استخدام الحجر والمعدن توجد آثار طفيفة للإحتكاك بين المستوطنين فى بقاع مثل مرسين وطرسوس مع القادمين الجدد الى طرواده ، أما أثناء القرون التى شهدت عصر النحاس التالى له فإن علامات هـذا الإحتكاك وفيرة تدل على نشاط تبادل التجارة مع الهضبة عن طريق ممرات طوروس - ولكن إلى جانب تلك الأدلة المادية هناك مايشير إلى تأثير واضح وعلى تغلغل الذوق السورى بل والفلسطينى أيضا ويحتم المنطق أن يكون عبور قيليقيا بالاتجاه شرقا نحو وديان الانهار والبلاد الواقعة فى جنوب « حاجز الحجرى الحديث » ومن ثم إلى الاراضى المرتفعة فى شرق الفرات ثم إلى ساحل البحر الأسود فى الشمال وللأسف لم تدرس أى من هذه المساحات دراسة وافية ، فأى شىء يقال عن تاريخها فى عصر النحاس يكون فى معظمه مجرد تخمين - والواقع أن المثال الوحيد لمخلفات هـــذا العصر يوجد فى موقع يعرف باسم كاراز (Karaz) بالقرب من أرزروم (Erzurum) حيث عثر فى طبقة معروفة من عنصر النحاس على طرز جديدة من الفخار يوجـــد ما يشبه لها فى القوقاز وقد قيل الكثير عن مشابهتها للمنتجات الأجنبية والدخيلة التى عثر عليها فى خربة كيراك (Khirbet kerak) بفلسطين إلا أن هـــذه الإكتشافات الفردية تؤكد قصور معلوماتنا ولا تفيد

إلا فى التوجية إلى نواحى البحث الجديد . والخلاصة أن جيران الأناضول فى الشمال والشرق والجنوب الشرقى ما زالو غامضين نسبيا إذا ما قورنوا بساحل البحر المتوسط فى غرب قيليقيا حيث أن عدم وجود آثار بتلك الجهات يدل على أنها كانت فى هذا العصر غير مسكونة بالفعل . وهكذا فالهيكل الاساسى لما نعرفه عن عصر النحاس يمكن تلخيصه فى سطور قليلة وعلى ذلك يجب أن نهتم بما تضيفه أعمال الباحثين القلائل من المعلومات فى المستقبل - ففى حوالى سنة ٢٣٠٠ ق.م. تغيرت مميزات الحضارة فى الأناضول نظرا لدخول طائفة من الناس تميل إلى الفخار الملون الأجنبى ، وقد انتهى هذا النتاج الكبادودشى (Gappadocian) حوالى سنة ١٩٠٠ ق.م. ، وهنا نصل إلى نهاية عصر ما قبل التاريخ فى هضبة الأناضول . وينقشع الضباب تدريجيا عن الحضارات التى سادت فيها إذ تمدنا الوثائق المعاصرة بعدئذ بالكثير من المعلومات عنها وبذلك تخرج العصور التالية - ابتداء من عصر البرونز المتوسط - عن نطاق موضوعنا .

شبه جزيرة العرب

لا شك فى أن قسوة الظروف الطبيعية فى شبه الجزيرة قد جعلت منها بيئة غير مرغوب فيها لا يعرف العالم المتحضر عنها إلا القليل ، فهذه الظروف هى السبب فى عدم نشاط الإرتحال إليها واستحالة القيام ببحوث علمية وأثرية فيها إلا فى بعض مناطق محدودة للغاية ، وقد يجيء الوقت الذى يمكن للإنسان فيه أن يستعين بوسائل المدينة الحديثة على البقاء فى أقسى جهاتها ظروفا وأن يقوم بما يريد من أبحاث تزيد معلوماتنا عنها .

وتدل شواهد الأحوال على أن شبه الجزيرة كان ينعم بظروف مناخية ملائمة لسكنى الإنسان ، فهى فى هذا تماثل نظيراتها فى العالم القديم ـ أى الصحراء الليبية وصحراء مصر الشرقية ـ ولذا يرجح أنها ظلت كذلك إلى نهاية العصور الحجرية على الأقل ، فقد وجد أحد الأمريكيين فى الربع الخالى بقايا نهر واسع هو السهل المنخفض المسمى « أبو بحر » ـ كما وجدت آثار أنهار أخرى فى جنوبى شبه الجزيرة وهى التى تتمثل فى الوديان الجافة الآن ، وفى هذه الأماكن وبالقرب منها بقايا حيوانات من تلك التى تعيش فى مناخ شبيه بما كان سائدا فى شمال أفريقيا فى تلك العصور ـ كذلك عثر على آثار لبعض المدن فى مناطق مختلفة من جنوب شبه الجزيرة على الأقل ـ ومع الأسف لم يتمكن البحاثه من الوصول إلى المناطق شديدة الجدب

والقيام فيها بأبحاث تنير لنا السبيل عن عصورها القديمة ، ولكن بعثات قليلة قامت ببعض الأبحاث فى جنوب شبه الجزيرة كشفت عن وجود آلات من الصوان فى حضرموت تشبه كثيراً آلات العصر الحجرى القديم فى شرق أفريقيا ـ ومع هذا فان الاختلافات الظاهرة فى آلات كل من المنطقتين قد أدت إلى اختلاف وجهات النظر بين العلماء فمنهم من يرى أن التقدم الذى طرأ على الآلات الحجرية فى أفريقيا يوحى بأن الحضارة التى انتجت هذه الآلات نشأت فى شبه الجزيرة . أى أنها هى الأقدم وأنها انتقلت إلى أفريقيا ـ بينما يرى البعض الآخر أن آلات شبه الجزيرة لا تكاد تختلف عن آلات شرق أفريقيا فى أقدم صورها ولذا فإنهم يذهبون إلى أن شرق أفريقيا كان مهداً لثقافة مركزية تفرعت منها ثقافات متعددة إلى جهات مختلفة من أفريقيا وآسيا وأن من المحتمل أن الحضارات الآسيوية ومن بينها حضارات شبه الجزيرة انفصلت عن الحضارات الأسيوية ـ ومن بينها حضارات شبه الجزيرة ـ انفصلت عن حضارات شرق أفريقيا بعد فترة ، ويستدلون على ذلك بما يلاحظ من عدم استقرار التشابه بين آلاتهما بعد تطورها .

ولا يمكن أن نحدد الزمن الذى استمر فيه استعمال آلات العصر الحجرى القديم فى شبه الجزيرة بل ولم يعثر حتى الآن على آثار من العصر الحجرى الحديث فيها ـ كذلك لا يمكن فى حالة معلوماتنا الراهنة أن نحدد الزمن الذى بدأ فيه العصر التاريخى فى شبه الجزيرة ،

وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد أن أجزاءها المختلفة لم تبدأ عصرها التاريخى فى وقت واحد وأن من المرجح أن الركن الجنوبى الغربى (اليمن) وأقليم عمان ومنطقة حضرموت كانت أسبق هـذه الاجزاء فى الوصول إلى عصورها التاريخية .

ومن المسلم به أن شبه الجزيرة تعد بيئة طرد لا يرغب فى البقاء بها إذا ما ساءت الظروف ـ وكثيرا ما كان يحدث ذلك ـ فهناك من الأدلة ما يشير إلى خروج عدة هجرات منها إلى المناطق المجاورة ، فى العراق وسوريا وغيرها ، وهى المسئولة عن تحركات العناصر السامية التى كان لهـا أكبر الأثر فى تاريخ إقليم الشرق الأدنى من أقدم العصور .

فهرس أبجدى

مراجع مختارة

أولا مراجع عامة : ـ

R. J. Braidwood, Prehistoric Men, I948.

R. J. Braidwood, The Near East and the Foundations for Civilisation. 1952.

V. Childe, New Light on the most Ancient East, 4th. ed. 1952.

L. Delaporte, Les Peuples de L'Orient Méditerranéen, I, Le Proche- Orient Asiatique, 1938

H. Frankfort, Birth of Civilization in the Near East, 1950

وقد ترجمه إلى العربية ميخائيل خوري بعنوان فجر الحضارة فى الشرق الأدنى

R. Linton, Tree of Culture, 3 vols. 1955

وقد ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد فخرى بعنوان شجرة الحضارة

V. H. Breasted, Ancient Times, (2nd, ed. 1944).

H. Hall, The History of the Ancient Near East, (1934).

ثانيا عن مصر :ـ

E, Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt, 2 vols. Cambridge Ancient History I (new ed. chapt X., Mss).

A. Gardiner, Egypt of the Pharoahs, 1961

S. Huzayyin, The Place of Egypt in Prehistory, 1941

E. Massoulard, Prehistoire et Proto — histoire de l'Égypte, 1949.

A. Morret, The Nile and the Egyptian Civilizatio n, 1927

F. Petrie, Prehistoric Egypt, 1920.

A. Vandier, Mannel d'Archéologie Egyptienne, Tome I, 1952.

ثالثا عن العراق

G. Contexan, La Civilization d'Assur et de Babylcne, (2e. ed.) 1937

L. Delaporte, La Mesopotamie, t. 8 de L'Évolution de L'Humanité, 1923.

S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C., 1928.

طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، جـ ١ - (بغداد سنة ١٩٥٥)

رابعا عن ايران

G. Calderon, History of Early Iran, 1936

R. Ghirshman, Iran, (Pelican A 239)

C. Huart, La Perse antique et la civilisation iranienne, t. 24 de L'Èvolution de L'Humanité 1935

خامسا عن سورية

W. F. Albright, From Stone Age to Christianity, 1940

W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, (Pelican A 354)

فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافـــق

سادسا اسيا الصغرى

G. Contenau, La Civilization des Hittites, 1948

O. Gurney, The Hittites, (Pelican, A 259)

W. Hamilton, Researches in Asia Minor, Pontus and Armenia, 1942.

S. Lloyd, Early Anatolia, (Pelican, A 190).

سابعا شبه جزيرة العرب

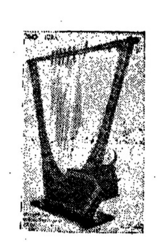
Ph. Hitti, History of the Arabs (5 th. ed.)

طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ٢ ، (بغداد سنة ١٩٥١)

أحمد فخرى ، اليمن ماضيها وحاضرها ، القاهـــرة ١٩٥٧

تصويب

خطأ	صواب	ص	سطر
Nesnderthal	Neanderthal	٣	هامش
Heidellerg	Heidelberg	٢	هامش
الأردنى	الأدنى	١٦	١٢
أوربا	أفريقيا	١٧	٢
غـــبر	عـــبر	١٧	١٠
يعيش	كان يعيش	١٨	٢٠
الأصلية	الأصليين	٢١	١٠
ص ٢٨	ص ٤٣	٣٠	هامش
يجعلون	يدجون	٣١	هامش
عصر رماية	عصا رماية	٣٨	تحت الشكل
العمر	العمـــرة	٥٠	عنوان
هو	وهو	٥٤	١
كانت تعلوها	كان يعلوها	٥٥	١
وكثيرا	وكثر	٥٧	٢
أسبته	سلال	٥٨	١٣
دغا	دعا إلى	٦٨	٧
لتشابه ظروف البيئة بين	للتشابه بين جنوبها وبين	٦٩	٥
العظيمة	العظمية	٨٢	٢
المبينة	المبنيــة	٨٥	٤
استخدام	استخدم	٩٢	١٥،٧
تطلق	تطلى	٩٣	١
رقم ١ هامش ص ١١٧	تنقل إلى ص ١١٦		
عنصر	عصر	١٢٥	١٨



١٩٦٢

مطبعة المصري